الآيات
المتعلقة بالحشرات
في القرآن الكريم
دراسة تحليلية

إعداد

الدكتور
عبد الله إبراهيم رحيم
تدريسي
جامعة الأنبار ـ كلية العلوم الإسلامية ـ رمادي
isl.abdullahe@uonbar.edu.iq

Issn : 2071- 6028

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد....

موضوع الحشرات قد بحث من النواحي الزراعية، والطبية، والاقتصادية، وغيرها في عشرات الأبحاث بين الرسائل والكتب، فكان حريا بطالب العلم الشرعي الكتابة في ورودها في القرآن الكريم.

وفي هذا المجال، هناك دراسة قدمها أحد الباحثين السعوديين المتخصصين في العلم الشرعي كانت بعنوان «الآيات التي ذكرت فيها الحشرة في القرآن الكريم – دراسة موضوعية إعجازية»، وبما أن هذا الموضوع قد درس الدراسة الأولى المعروفة عند أهل التخصص في التفسير، وهي الدراسة الموضوعية، كان لا بد أن تدرس الدراسة الثانية وهي الدراسة التحليلية، فوجدت من المناسب أن أدلوا بدلوي في هذا الموضوع المهم، فكان عنوان البحث: الآيات المتعلقة بالحشرات في القرآن الكريم – دراسة تحليلية.

واقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن أقسمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، أما المقدمة فقد تضمنت: أسباب اختيار الموضوع وأهميته، وخطة البحث، وأما تقسيم المباحث فكان على النحو الآتي: المبحث الأول: ماهية الحشرات وأنواعها، وتضمن مطلبين، المطلب الأول: الحشرات عند اللغويين، والمطلب الثاني: أنواع الحشرات، المبحث الثاني: دراسة تحليلة لآيات الحشرات، وتضمن تسع مطالب، المطلب الأول: ضرب المثل بالبعوضة، المطلب الثاني: العقوبات بالجراد والقمل، المطلب الثالث: خروج الكافرين من قبورهم، المطلب الرابع: الوحي إلى النحل، المطلب الخامس: ضرب المثل بالذباب، المطلب السادس: كلام النملة وتحذيرها، المطلب السابع: بيت العنكبوت الوهن، المطلب الثامن: دابة الأرض، المطلب التاسع: الفراش المبثوث.

أما الخاتمة فذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي المتواضع هذا وفي نهاية البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدتها والحمد لله أولا وأخيرا وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

الكلمات المفتاحية : آيات ، متعلقة ، حشرات

Research Summary:

Praise be to Allah and the best prayer and delivery to the prophet Mohammed and his family and companions, and those who followed them in truth until the Judgment Day and after that ….

Multi insects subject may search from the other field : agricultural, medical, economic and others in dozens of research between letters and books, was incumbent upon the student of forensic science writing in which they are told in Al- Koran, and in this field there was a study presented by one of Saudi researchers who specialize in forensic science was entitled**(Verses in which the insect mentioned in the Koran miraculous objective Study).,** since this subject has studied known when specialized folks in interpretation the first study, the **Thematic Study** had to be taught the second study, which is the **Analytical Study** and found fit to حnarrate my narrator in this important topic was the title of the research (**Verses related to the insects in the Koran - an analytical study).**

And the nature of the search warrant in this topic that was divided into the introduction ,two sections and conclusion, the introduction included the reasons for choosing the subject and its importance, and the research plan, either detective division was as follows ..... The **First topic: what classes of insect and include the first two demands insects when linguists, and TheSecond types of insects The second section contains analytical study of the states of insects and includes the first nine demands,Hitting the proverbial by mosquito, either second punishment by locusts& lice, and the third out of the unbelievers get out from their graves ,and fourth revelation to bees, demand hitting the proverbial by flies the fifth, the sixth Ant talking and warning, the seventh weakness cobweb ,** the **eighth beast ground, and the last one that was bed moths and requirements.**

While the conclusion , I mentioned the most important findings in this modest research ,at the end Finding list of sources and references, and adopted on Firstly and finally ,the best prayer and delivery to the prophet Mohammed and his family and companions,peace and recognition a lot.

Keyword : Verses , related , insects

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد...

فقد شرع الله تعالى لنا شريعة كاملة شاملة لجميع نواحي الحياة، قاضية على أفعال العباد كافة، منظمة لعلاقتهم بربهم ﷻ، وعلاقتهم بعضهم ببعض، وكذلك علاقتهم بما يحيط بهم من الكائنات، ومنها علاقتهم بهذه المخلوقات الصغيرة المعروفة بالحشرات، فقد ورد ذكر تلك المخلوقات في الكتاب والسنة، تنبيها إلى قدرة الله تبارك وتعالى وإتقانه وامتنانه، وبيانا لحكم عظيمة، وما هذا إلا أحد مظاهر عظمة هذه الشريعة الربانية التي وسعت كل شيء ولم تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا وفصلتها تفصيلا دقيقا، فتبارك الله أحسن الخالقين اللطيف الخبير بعباده.

وقد جاء اختياري للموضوع لأسباب عدة، منها:

أولا: أنه موضوع يعالج ذكر الحشرات في القرآن الكريم، التي تكون الجزء الأكبر من الحيوانات التي تعيش على الأرض، ويربو عدد أنواعها على جميع أنواع الحيوانات الأرضية أضعافا مضاعفة، وهي في الحقيقة ذات شأن كبير لاتصالها بحياتنا المعيشية اتصالا وثيقا، إذ تعيش حول الإنسان وتحيط به في معظم أحواله، فكان لزاما على طلاب العلم وخدمة كتاب الله ﷻ أن تناولها بالدراسة من جميع جوانبها.

ثانيا: أن موضوع الحشرات قد بحث من النواحي الأخرى: الزراعية، والطبية، والاقتصادية، وغيرها في عشرات الأبحاث بين الرسائل والكتب، فكان حريًا بطالب العلم الشرعي الكتابة في ورودها في القرآن الكريم، وفي هذا المجال هناك دراسة قدمها أحد الباحثين السعوديين المتخصصين في العلم الشرعي كانت بعنوان «الآيات التي ذكرت فيها الحشرة في القرآن الكريم – دراسة موضوعية إعجازية».

وبما أن هذا الموضوع قد درس الدراسة الأولى المعروفة عند أهل التخصص في التفسير وهي الدراسة الموضوعية، كان لا بد أن تدرس الدراسة الثانية وهي الدراسة التحليلية، فوجدت من المناسب أن أدلوا بدلوي في هذا الموضوع، المهم فكان عنوان البحث «الآيات المتعلقة بالحشرات في القرآن الكريم – دراسة تحليلية».

واقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن أقسمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، أما المقدمة فقد تضمنت أسباب اختيار الموضوع وأهميته، وخطة البحث، أما تقسيم المباحث فكان على النحو الآتي:

المبحث الأول: ماهية الحشرات وأنواعها: وتضمن مطلبين:

المطلب الأول: الحشرات عند اللغويين.

المطلب الثاني: أنواع الحشرات.

المبحث الثاني: دراسة تحليلة لآيات الحشرات: وتضمن تسع مطالب:

المطلب الأول: ضرب المثل بالبعوضة.

المطلب الثاني: العقوبات بالجراد والقمل.

المطلب الثالث: خروج الكافرين من قبورهم.

المطلب الرابع: الوحي إلى النحل.

المطلب الخامس: ضرب المثل بالذباب.

المطلب السادس: كلام النملة وتحذيرها.

المطلب السابع: بيت العنكبوت الوهن.

المطلب الثامن: دابة الأرض.

المطلب التاسع: الفراش المبثوث.

أما الخاتمة فذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي المتواضع هذا وفي نهاية البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدتها والحمد لله أولا وأخيرا وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

المبحث الأول
ماهية الحشرات وأنواعها

المطلب الأول: الحشرات عند اللغويين.

المطلب الثاني: أنواعها.

المطلب الأول
الحشرات عند اللغويين

قال الخليل الفراهيدي: الحشرة: ما كان من صغار دواب الأرض مثل اليرابيع والقنافذ والضباب ونحوها، وهو اسم جامع لا يفرد منه الواحد إلا أن يقولوا هذا من الحشرة[١].

قال ابن منظور: الحشرة: جمع حشرات، (بفتح الشين) جمعا وإفرادا، واحدة صغار دواب الأرض كاليرابيع والقنافذ والضباب ونحوها، وهو اسم لا يفرد الواحد إلا أن يقولوا: هذا من الحشرة[٢]، وفي حديث الهرة: (**عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تُرْسِلْهَا فَتَأْكُلَ مِنْ حَشَرَاتِ الْأَرْضِ**)[٣].

---

[١] ينظر: العين، **أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي**، تحقيق: د. محمد مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ٩٢/٣ مادة (حشر) .

[٢] ينظر: لسان العرب، **محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الأفريقي**، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ١٩١/٤، مادة (حشر) .

[٣] مسند الإمام أحمد، **أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل رشيد وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التريكي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.٢٩٠/١٥، باب: مسند أبي هريرة (ﷺ)، رقم الحديث: ٩٤٨١. وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

وعرفها ابن قتيبة الدينوري: «الحشرة: ما كان من صغار دواب الأرض مثل: الحناظب، والجعلان، والنمل، والحيات، والأساريع، واليرابيع، وهو اسم جامع لذلك كله»[١]، وذكر ابن سيده المرسى: «الحشرة اسم جامع لا يفرد، وقيل: الصيد كله حشرة، ما تعاظم منه وتصاغر»[٢].

الفاظ أخرى للحشرات عند أهل اللغة:

١) **هوام:** جمع (هامة) وهي ما كان من خشاش الأرض نحو العقارب والحيات وما أشبهها من دواب الأرض، ولا يقع هذا الاسم إلا على المخيف من الحشرات، وسميت بذلك لأنها تهم أي: تدب[٣]، وقيل: ما كان له سم من الحيوانات[٤].

فقد ورد عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قال : كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما ويقول: **(إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ)**[٥]، ووردت كلمة (الهوام) في أحاديث أخرى منها قول النبي ﷺ: **(وَإِذَا عَرَّسْتُمْ بِاللَّيْلِ، فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ، فَإِنَّهَا مَأْوَى الْهَوَامِّ بِاللَّيْلِ)**[٦]، وقال بعض اللغويين:

---

[١] الجراثيم، نسب **لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري**، تحقيق: محمد جاسم الحميدي، وزارة الثقافة، دمشق، ١/١٣٥.

[٢] ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، **أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ٣/١٠٤.

[٣] ينظر: العين، ٣/٣٥٧، مادة (همم)، وتهذيب اللغة، **محمد بن أحمد الأزهري الهروي**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت ط١، ٢٠٠١م، ٤/١٠٦.

[٤] ينظر: معجم لغة الفقهاء، **محمد رواس، حامد صادق**، دار النفائس، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ص٤٩١.

[٥] صحيح البخاري، جامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، **محمد بن اسماعيل البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٢/٤٠، كتاب: الأنبياء، باب: حدثنا موسى بن إسماعيل، رقم الحديث: ٣٣٧١.

[٦] صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، **مسلم بن الحجاج النيسابوري**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٦/٥٤، كتاب: الجهاد والسير، باب: مراعاة الدواب في السير، رقم الحديث: ١٩٢٦.

(الهوام هي الحيات وكل ذي سم يقتل، وأما ما تسم ولا تقتل – غالبا– كالزنبور فهي السوام، وأما ما لا تقتل ولا تسم، ولكنها تقم من الأرض أي: تأكل منها فهي القوام، كالفأر والقنفذ ونحوها)[١].

وقد يطلق الهوام على غير ذوات السم، ومنه حديث كعب بن عجرة على غير ذوات السم، حينما قال له النبي ﷺ: **(أَيُؤْذِيكَ هَوَامُّ رَأْسِكَ)** وأراد بها القمل[٢].

٢) **الخشاش:** الخشاش هي: الحشرات والأحراش[٣]، ومنهم من سمى (الخشاش) حشرات الأرض[٤] في تفسير الحديث النبوي الشريف: **(فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ)**[٥].

٣) **الحنش:** محركة بفتحتين هي: الذباب والحية وكل ما يصاد من الطير والهوام وحشرات الأرض كالقنفذ والضب والورل واليربوع والجرذان والفأر، وما أشبه رأسه رأس الحيات كالحرابي وسام أبرص[٦] عن خزيمة (رضي الله عنه) أنه قال: **(قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُكَ لِأَسْأَلَكَ عَنْ أَحْنَاشِ الْأَرْضِ....)**[٧].

---

[١] ينظر: لسان العرب، ٦١٢/١٢، مادة (همم).

[٢] صحيح البخاري،١٦٤/٥، كتاب: المحصر، باب: النسك شاة، رقم الحديث ١٨١٧، وصحيح مسلم، ٢٠/٤، كتاب: الحج، باب: جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى، رقم الحديث: ١٢٠١.

[٣] ينظر: لسان العرب، ٢٩٥/٦، مادة (خشش)، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، شمس الدين محمد بن عرفة، دار إحياء الكتب العربية، ١١٦/٢.

[٤] ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، ٢٣٥/١.

[٥] صحيح البخاري: ٤٦٢/٨، كتاب: المساقاة، باب: فضل سقي الماء، رقم الحديث: ٢٣٦٥.

[٦] ينظر: القاموس المحيط، **محمد بن يعقوب الفيروز آبادي**، تحقيق ونشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ٥٩١/١, مادة (حنش) ، ومعجم مقاييس اللغة، **أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١١٠/٢، مادة (حنش) ، والحيوان، **عمرو بن بحر الجاحظ**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ، ٣٩/٤.

[٧] سنن ابن ماجة، **أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني**، وماجة اسم أبيه يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، ١٠٨١/١، كتاب: الصيد، باب: الأرنب، رقم الحديث: ٣٢٤٥، والحديث إسناده ضعيف كما قال الألباني، ففي إسناده عبدالكريم بن أبي المخارق مجمع على ضعفه، ينظر: تعليقات الألباني على سنن ابن ماجة، ص ٥٤٧.

المطلب الثاني

أنواع الحشرات

تنقسم الحشرات من حيث البيئة المعيشية إلى ثلاثة أنواع:

أولا: الحشرات البرية: هي الحشرات التي تعيش على سطح الأرض كالنحل وغيره.

ثانيا: الحشرات المائية: وهي التي تعيش في البحار والمحيطات والأنهار.

ثالثا: الحشرات البرمائية: وهي التي تعيش في الماء والبر[١].

وهذا التقسيم يترتب عليه آثار واضحة في الأحكام الفقهية عند العلماء، خاصة في أحكام المناسك وباب الأطعمة والذبائح وكثير من كتب الفقه تناولت هذا التقسيم وبينت الأحكام الشرعية المستنبطة من الأدلة الشرعية[٢].

والحشرات هي نوع من أنواع الحيوانات اللافقارية، وهي مفصليات الأرجل، وتعد الحشرات الكائنات الحية الأكثر انتشارا من هذا التصنيف، حيث تمثل نسبة ٧٥% من الحيوانات، وقد عرف منها حتى اليوم أكثر من ١٢٥ مليون نوع، وبعض الدراسات في علم الحشرات تدل على أن الحشرات قد وجدت منذ بداية الحياة على الأرض، وفي العصر الفحمي توجد الحشرات وتعيش في كل البيئات تقريبا، إلا أن أنواعا قليلة منها تفضل العيش في الماء أو ما يسمى القشريات، وتدلنا أبحاث ودراسات علماء الحشرات على أن عدد الحشرات على الكرة الأرضية قد يوازي عدد سكان

---

[١] ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، الرياض، ٣٥٧/٩، والموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال، دار الشعب، ٧٢١/١.

[٢] ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، **علاء الدين بن بكر بن مسعود الكاساني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢١هـ، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، **أبي عبد الله محمد بن عبدالرحمن المعروف بالحطاب**، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ، المهذب في فقه الإمام الشافعي، **أبي اسحق الشيرازي**، تحقيق: محمد الزحيلي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ، والمغني، **موفق الدين أبي محمد بن عبدالله بن أحمد المعروف بابن قدامة**، تحقيق: د. عبدالله التريكي، وعبدالفتاح الحلو، ط٢هـ، ١٤١٣هـ، والمحلى بالآثار، **أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي المعروف بابن حزم الظاهري**، دار الفكر، بيروت، ومعجم لغة الفقهاء، محمد رواس، حامد صادق، دار النفائس، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

العالم أو يضاهيه، وتوجد أنواع كثيرة منها، تصنف جميعًا تحت قسم المفصليات، لأنها تمتلك أرجل مفصلية، وجسمها مقسم إلى حلقات، وله غطاء خارجي صلب[١].

أما فيما يتعلق بغذاء الحشرات فهو كثير وشامل لكل أنواع الطعام، سواء كان نباتيا أو حيوانيا، فالحشرات تأكل كل شيء، سواء اللحوم، أو الدم، أو الريش، أو السجاد، أو العظم، كما أنها تأكل الخشب، والورق، والسجائر، فبعض الحشرات التي تنظف البيئة من بقايا النباتات وجيف الحيوانات الميتة[٢].

وتصنف الحشرات كذلك إلى حشرات نافعة وحشرات ضارة للإنسان والبيئة، حيث إن الحشرات النافعة قد نستفيد من بعضها في إنتاج بعض المنتجات كالحرير، الذي تفرزه دودة القز، والعسل الذي يخرجه النحل، كما أن بعض الحشرات تعد مصدرا غذائيا لغيرها من الكائنات الحية، كما تقوم الحشرات بدورها الأساس في تلقيح المحاصيل، وتقوم كذلك بالتخلص من الحشرات الضارة، وتعمل أيضا على تهيئة التربة وزيادة خصوبتها[٣].

---

[١] ينظر: الموسوعة العربية العالمية، ٣٥٧/٩، والموسوعة العربية الميسرة، ٧٢١/١.

[٢] ينظر: علم الحشرات العام، **د. محمد شاكر حماد**، دار الإصلاح، السعودية، ١٤٠٤هـ، ص١١.

[٣] ينظر: الحشرات النافعة في تراثنا الحضاري، **عزيز العلي**، من بحوث الندوة القطرية الخامسة لتأريخ العلوم عند العرب، بغداد، ١٩٨٩م، ص٤٧٢.

المبحث الثاني
دراسة تحليلية لآيات الحشرات

المطلب الأول: ضرب المثل بالبعوضة.

المطلب الثاني: العقوبات بالجراد والقمل.

المطلب الثالث: خروج الكافرين من قبورهم.

المطلب الرابع: الوحي إلى النحل.

المطلب الخامس: ضرب المثل بالذباب.

المطلب السادس: كلام النملة وتحذيرها.

المطلب السابع: بيت العنكبوت الوهن.

المطلب الثامن: دابة الأرض.

المطلب التاسع: الفراش المبثوث.

المطلب الأول

ضرب المثل بالبعوض

بين الله تبارك وتعالى في الآية الكريمة أنه لا يعتريه ما يعتري الناس من الاستحياء فلا يمنع أن يصور ما يشاء من أمور بأي مثل قال الله تعالى : **(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ)**[1]، وسيكون الكلام عنها وفق الآتي:

[1] سورة البقرة، آية/٢٦.

أولا: تحليل الكلمات.

١) قوله تعالى: **(لا يستحيي)** الاستحياء: تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب عليه، فيؤدي إلى ترك الفعل[١]، أي: إن الله لا يستحيي من الحق أن يذكر منه شيئا ما قل منه أو كثر[٢].

قال الأزهري: وللعرب في هذا الحرف لغتان، يقال: استحى فلان يستحي بياء واحدة، واستحيا فلان يستحيي بياءين، والقرآن نزل باللغة التامة[٣].

٢)) قوله تعالى: **(ما بعوضة)** البعوضة: جنس حشرة مضرة من ذوات الجناحين، ولفظ البعوض من البعض لصغر جسمه[٤].

٣) قوله تعالى: **(يضل به)** الضلال هو: العدول عن الطريق المستقيم ويضاده الهداية، قال تعالى: **(مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)**[٥].

ثانيا: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.

بعد أن ذكر الله تعالى جزاء الكافرين والعصاة، أردف ذلك ببيان جزاء المؤمنين الأتقياء الأطهار، وليكون ذلك أدعى للعبرة والعظة، والامتثال من مقارنة الأحوال، ثم أردف وتعالى ذلك ببيان المثل في خلق البعوضة، فالتمثيل بالبعوضة ونحوها ضل به كثير من الناس، واهتدى به كثير من الناس، ولا يضل به إلا الخارجون عن طاعة الله وتعالى، ثم ناقش القرآن الكريم أولئك الذين أنكروا ربوبية الله تعالى مرة بعد مرة، لأن موقفهم وحالهم مدعاة للعجب والاستغراب[٦].

---

[١] ينظر: التفسير الواضح، **محمد محمود الحجازي**، نشر، دار الجيل الجديد، بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ، ٢٦/١.

[٢] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، المعروف ب(تفسير الطبري)، **محمد بن جرير بن يزيد الطبري**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ٣٩٩/١.

[٣] ينظر: تهذيب اللغة، ١٨٧/٥.

[٤] ينظر: الكليات، **أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي**، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٢٤٥.

[٥] سورة الإسراء، آية/١٥، ينظر: التفسير الوسط، **وهبة الزحيلي**، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ، ١٩/١.

[٦] ينظر: التفسير الوسيط، **وهبة بن مصطفى الزحيلي**، ١٩/١.

ثالثا: أسباب النزول.

قال ابن عباس ﷺ: لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين يعني قوله تعالى: **(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ)**[١]، قالوا: الله أعلى وأجل من أن يضرب الأمثال بهذه الأشياء الحقيرة، فأنزل الله هذه الآية، وقال الحسن وقتادة: لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين بهما المثل، ضحكت اليهود وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢].

رابعا: إعراب الآية.

قوله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)**: (إن الله): لفظ الجلالة اسم إن والجملة خبر، وهي لغة بني تميم بن وائل، (لا يستحي) بياء واحدة وهكذا قرأ ابن كثير وشبل، وفيه قولان:

الأول: أسكنت الياء الأولى كما سكنت في (باع) وسكنت الثانية لأنها لام فعل.

الثاني: لما كسرت وكانتا ياءين حذفوها وألقوا حركتها على الحاء[٣].

وقيل: إن الأصل استحيا، فأعله من جهتين، أعل الياء الأولى كما يقال: استباع، وأعل الياء الثانية كما يقال: يرمي، فحذفت الأولى لئلا يلتقي ساكنان، وهذا بعيد جدا لأنهم يجتنبون الإعلال من جهتين، (ما بعوضة) في نصبها ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: تكون (ما) زائدة و(بعوضة) بدل من مثل.

---

[١] سورة البقرة، أية/١٧.

[٢] ينظر: أسباب النزول ، **أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري**، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ص ٢٣، ولباب التأويل في معاني التنزيل، **علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن المعروف بالخازن**، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ٣٣/١.

[٣] ينظر: إعراب القرآن، **أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي**، علق عليه: عبدالمنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٣٩/١.

الوجه الثاني: يجوز أن تكون (ما) في موضع نصب نكرة، و(بعوضة) نعتا لـ(ما)، وصلح أن تكون نعتا لأنها بمعنى قليل.

الوجه الثالث: التقدير: أن يضرب مثلا ما بين بعوضة حذفت (بين) وأعربت بعوضة بإعرابها[١].

قوله تعالى: **(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا)**.

(فأما) الفاء استئنافية، أما أداة شرط وتفصيل وتوكيد، (الذين) اسم موصول في محل رفع مبتدأ، (آمنوا) فعل ماض وفاعل، والجملة صلة الموصول، (فيعلمون) الفاء رابطة للجواب، يعلمون فعل مضارع وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، (أنه) حرف مشبه بالفعل والهاء اسمها، (الحق) خبرها، (من ربهم) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الحق والتقدير منزلا من ربهم، وأن واسمها وخبرها سد مسد مفعولي يعلمون. (وأما) كأما الأولى، (الذين) اسم موصول مبتدأ، (كفروا)، فعل ماض وفاعل، والجملة صلة الموصول، (فيقولون) الفاء رابطة للجواب، يقولون فعل مضارع وفاعل، والجملة جواب شرط غير جازم لا محل لها، (ماذا)، اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ أو ما اسم استفهام، ذا اسم موصول خبر[٢].

(أراد)، فعل ماض (الله)، لفظ الجلالة فاعل مرفوع، (الباء) حرف جر، (ها)، حرف تنبيه، (ذا) اسم إشارة، في محل جر بالباء متعلق ب(أراد)، (مثلا) تمييز لاسم الإشارة منصوب أو حال أي: ممثلا به[٣].

---

[١] ينظر: معاني القرآن، **أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي المعروف بالفراء**، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبدالفتاح إسماعيل، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ط١، ٢٢/١.

[٢] ينظر: إعراب القرآن الكريم، **قاسم حميدان دعاس**، نشر: دار المنير، دار الفارابي، دمشق، ١٧/١، ١٨.

[٣] ينظر: الجدول في إعراب القرآن، **محمود بن عبد الرحيم صافي**، دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤، ١٤١٨هـ، ٨٥/١.

قوله تعالى: **(يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ)**.

(يضل) فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، (الباء) حرف جر و(الهاء) ضمير متصل في محل جر بالباء متعلق ب(يضل)، (كثيرا) مفعول به منصوب، (الواو) عاطفة، (يهدي به كثيرا) تعرب كنظيرها المتقدمة، (الواو) استئنافية أو حالية، (ما) نافية، (يضل) مثل الأول، وكذلك (به) (إلا) أداة حصر، (الفاسقين) مفعول به منصوب[١].

خامسا: القضايا الاسلوبية والبلاغية.

المراد بالمثل هنا الشبه مطلقا لا خصوص المركب من هيئة، بخلاف قوله فيما سبق: **(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا)**، لأن المعني هنا ما طعنوا به في تشابيه القرآن مثل قوله تعالى: **(لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا)**[٢]، وقوله تعالى: **(كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا)**[٣].

وأصل (ماذا) كلمة مركبة من (ما) الاستفهامية و(ذا) اسم اشارة ولذلك كان أصلها أن يسأل بها عن شيء مشار إليه كقول القائل –ماذا– مشيرا إلى شيء حاضر بمنزلة قوله – ما هذا – كناية به عن الإنكار لأن الشيء المنكر يستفهم عن حصوله فاستعمال الاستفهام في الإنكار من قبيل الكناية، ومثله لا يجاب بشيء غالبا لأنه غير مقصود به الاستعلام، وقد يلاحظ فيه معناه الأصلي فيجاب بجواب لأن الاستعمال الكنائي لا يمنع من إرادة المعنى الأصلي، كقوله تعالى: **(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ)**[٤].

والإشارة بقوله (هذا) مفيدة للتحقير بقرينة المقام، كقوله تعالى: **(أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ)**[٥]. وفي قوله تعالى: (فأما الذين آمنوا): (الفاء هنا للتفريع، والتفريع إشارة إلى دليل ضمني ينتج هذه الجملة ذات الشقين: أي لا يترك التمثيل لأن البلاغة تقتضيه، فمن أنصف يعرف أنه بليغ وحق

---

[١] ينظر: الجدول في إعراب القرآن، **محمود بن عبد الرحيم صافي**، ٨٥/١.

[٢] سورة الحج، آية/٧٣.

[٣] سورة العنكبوت، آية/٤١، وينظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، **محمد الطاهر بن عاشور التونسي**، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ٣٥٩/١.

[٤] سورة النبأ، آية/١– ٢، وينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ٣٦٥/١.

[٥] سورة الأنبياء، آية/ ٣٦.

وكلام الله تعالى، و(من نظر بالعناد لا يعلم الحكمة فيتردد... فيسأل... فينكر... فيستحقر... فأنتج: أن المؤمن لأنه منصف يصدق أنه كلام الله، والكافر لأنه معاند، يقول: ما الفائدة؟)[١].

المعنى العام للآية.

يقول الله تعالى في الرد على مزاعم اليهود والمنافقين: **(إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما)** أي: إن الله لا يستنكف ولا يمتنع عن أن يضرب أي مثل، بأي شيء كان، صغيرا كان أو كبيرا، (بعوضة فما فوقها) أي: سواء كان المثل بالبعوضة أو بما هو دونها في الحقارة والصغر، **(فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم)** أما المؤمنون فيعلمون أن الله حق، لا يقول غير الحق، **(وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا)**، وأما الذين كفروا فيتعجبون ويقولون: ماذا أراد الله من ضرب الأمثال بمثل هذه الأشياء الحقيرة؟ فرد الله تعالى عليهم بقوله: **(يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا)** أي: يضل بهذا المثل كثيرا من الكافرين لكفرهم به، ويهدي به كثيرا من المؤمنين لتصديقهم به، فيزيد أولئك ضلالة، وهؤلاء هدى، **(وما يضل به إلا الفاسقين)**، أي: ما يضل بهذا المثل أو بهذا القرآن إلا الخارجين عن طاعة الله، الجاحدين بآياته[٢].

سابعا: الإعجاز في خلق البعوضة.

نحن نشاهد في حياتنا البشرية أنه مثلا عندما اخترع الإنسان الساعة، كان حجمها ضخما، وكلما تقدمت الحضارة وارتقى الإنسان في صناعته وحضارته وتقدمه، أصبح الحجم دقيقا وصغيرا، وفي كل الصناعات عندما ترتقي، يصغر حجمها لأن ذلك محتاج إلى صناعة ماهر وإلى تقدم علمي، وهكذا حينما ضرب الله مثلا بالبعوضة وما فوقها، أي: بما هو أقل منها حجما، فإنه تبارك وتعالى أراد أن يلفتنا إلى دقة الخلق، فكلما لطف الشيء وصغر حجمه احتاج إلى دقة الخلق[٣].

---

[١] إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز، **بديع الزمان النورسي**، تحقيق: إحسان قاسم الصالح، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٢م، ص٢١٠.

[٢] ينظر: صفوة التفاسير، **محمد علي الصابوني**، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ٣٨/١.

[٣] ينظر: تفسير الشعراوي، **محمد متولي الشعراوي**، (ت١٤١٨هـ) ، مطابع أخبار اليوم، ٢١١/١.

وفي رأس البعوضة مئة عين، ولو كبر رأس البعوضة بالمجهر الإلكتروني لرأينا عيونها على شكل خلية النحل، وفي فمها ثمان وأربعون سنا، وفي صدر البعوضة ثلاثة قلوب، قلب مركزي، وقلب لكل جناح، وفي كل قلب أذينان وبطينان ودسامان، وهي تملك جهازا لا تملكه الطائرات الحديثة، إنه جهاز (رادار)، أو مستقبلات حرارية، بمعنى أن البعوضة لا ترى الأشياء بأشكالها وألوانها، بل بحرارتها، فلو أن بعوضة وجدت في غرفة مظلمة فإنها ترى فيها الإنسان النائم، لأن حرارته تزيد على درجة حرارة أثاث الغرفة، وحساسية هذا الجهاز واحد من الألف من درجة الحرارة المئوية[١].

والبعوضة تملك جهازا لتحليل الدم، فما كل دم يناسبها، فقد ينام طفلان على سرير واحد، وفي الصباح تجد جبين أحدهما مليئا بلسعات البعوض، أما الثاني فلا تجد أثرا للسع البعوض فيه، والبعوضة تملك جهازا للتخدير، فلو غرست خرطومها في جلد النائم لقتلها، ولكنها تخدر موضع لسعها، وحينما يزول أثر المخدر يشعر بألم اللسع، في حين أن البعوضة تطير في جو الغرفة.

وللبعوضة خرطوم فيه ست سكاكين، أربع سكاكين تحدث في جلد الملدوغ جرحا مربعا، ولا بد من أن يصل الجرح إلى وعاء دموي، والسكينتان الخامسة والسادسة تلتقيان لتكونا أنبوبا لامتصاص دم الملدوغ.

ويرف جناح البعوضة عددا كبيرا من المرات في الثانية الواحدة، حيث يصل هذا الرفيف إلى درجة الطنين، وفي أرجل البعوضة مخالب إذا أرادت أن تقف على سطح خشن، ولها محاجم إذا أرادت أن تقف على سطح أملس[٢].

---

[١] ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القران والسنة، **محمد راتب النابلسي**، دار المكتبي، دمشق، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ٢/٢٢٧، ٢٢٨.

[٢] المصدر نفسه والجزء والصفحة.

المطلب الثاني

العقوبات بالجراد والقمل

يشير الله ﷻ إلى أنواع من عذاب الدنيا بآل فرعون، ومنها الجراد والقمل، وهي حشرات مضرة على الإنسان والبيئة، ثم رفع الله تعالى عنهم ذلك، لكنهم عادوا إلى تكذيب نبيهم فجاءت هذه الآية إنذارًا لكل أمة تعمل عمل بني إسرائيل.

قال تعالى: **(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ)**[١]، وسيكون الكلام عنها وفق الآتي:

أولا: تحليل الكلمات.

١) قوله تعالى: **(فأرسلنا عليهم الطوفان)**، الطوفان: **(الموت على كل حال)**[٢]، وقال الفراء: (لقد أرسل الله عليهم السماء سبتا، فلم تقلع ليلا ونهارا، فضاقت بهم الأرض من تهدم بيوتهم وشغلهم عن ضياعهم، فسألوه أن يرفع عنهم، فرفع فلم يتوبوا، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل ما أنبتت الأرض في تلك السنة)[٣]، وقال ابن قتيبة: الطوفان: (هو السيل العظيم، وقيل: الموت الكثير، وطوفان الليل: شدة سواده)[٤].

٢) قوله تعالى: **(والجراد)** الجراد: (معروف الواحد جرادة يقع على الذكر والأنثى، وليس الجراد بذكر للجرادة، وإنما هو اسم جنس كالبقر والبقرة، والتمر والتمرة، والحمام والحمامة، وما أشبه

---

[١] سورة الأعراف، آية/١٣٣.

[٢] معاني القرآن وإعرابه، **إبراهيم بن السري بن سهل المعروف بالزجاج**، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ٢/٣٧٠.

[٣] معاني القرآن للفراء، ١/٣٩٢.

[٤] غريب القرآن، **عبدالله بن مسلم المعروف بابن قتيبة**، تحقيق: سعيد اللحام، ص١٤٨.

ذلك، فحق مذكره أن لا يكون مؤنثه من لفظه، لئلا يلتبس الواحد المذكر بالجمع، وقولهم: ما أدري أي جراد عاره، أي: أي الناس ذهب به)[١].

٣) قوله تعالى: (والقمل) القمل: (الجنادب، وهي الصغار من الجراد، واحدتها قملة، وقيل: الذر الصغار، وقيل: هو شيء أصغر من الطير له جناح أحمر أكدر)[٢].

٤) قوله تعالى: (والضفادع) الضفدع: واحد الضفادع، والأنثى ضفدعة، وحكي بضم الضاد وكسرها مع فتح الدال وضمها، وهو حيوان برمائي ذو نقيق، يقال للذكر والأنثى[٣].

ثانيا: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.

بعد أن قال قوم فرعون لموسى: أي آية تأتينا بها، ودلالة وحجة أقمتها لتصرفنا عما نحن عليه من دين فرعون، فما نحن لك بمصدقين، فأرسلنا عليهم سيلا جارفا أغرق الزروع والثمار، وأرسلنا الجراد، ثم رفع الله عنهم ذلك فلبثوا مدة آمنين من هذه العاهة، وطالبهم موسى بوعدهم فتنكروا له، وهكذا حتى تمت الآيات الخمس مفصلات ما بين كل آية وأخرى مدة تقصر وتطول فاستكبروا عن الإيمان والطاعة، وكانوا مجرمين مفسدين لا خير ولاعهد لهم[٤].

ثالثا: إعراب الآية.

قال تعالى: **(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ)**.

---

[١] الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، **أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ، ٤٥٦/٢، مادة (جرد)، تاج العروس، **محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي**، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ٤٩٤/٧، مادة (جرد).

[٢] ينظر: تهذيب اللغة، ٩/ ١٥٢، باب: القاف واللام، والقاموس المحيط، ص١٠٥٠، باب: اللام.

[٣] ينظر: الصحاح، ١٢٥٠/٣، مادة (ضفدع) .

[٤] ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، **جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ٢٢٧/٢.

(فأرسلنا) فعل ماض وفاعله (عليهم)، متعلقان بأرسلنا، (الطوفان) مفعوله، (والجراد والقمل والضفادع والدم)، اسماء معطوفة، (آيات)، حال منصوبة بالكسرة جمع مؤنث سالم، (مفصلات)، صفة (فاستكبروا)، فعل ماض وفاعل والجملة معطوفة، (وكانوا قوما مجرمين)، كان واسمها وخبرها والجملة معطوفة[١].

رابعا: القضايا الاسلوبية والبلاغية.

في قوله تعالى: (فأرسلنا) الفاء في قوله: (فأرسلنا) لتفريع إصابتهم بهذه المصائب على عتوهم وعنادهم، والإرسال: حقيقته توجيه رسول أو رسالة فيعدى إلى المفعول الثاني (بإلى) ويضمّن معنى الإرسال من فوق، فيعدى إلى المفعول الثاني (بعل)، قال تعالى: **(وأرسل عليهم طيرا أبابيل)**[٢] **(وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم)**[٣] فحرف (على) دل على أن جملة أرسلنا مفرعة تفريع العقاب لا تفريغ زيادة الآيات[٤].

وفي قوله تعالى: (مفصلات)، وصف لآيات، فيكون مرادا منه معنى الفصل المجازي وهو إزالة اللبس، لأن ذلك هو الأنسب بالآيات والدلائل، أي: هي آيات لا شبهة في كونها كذلك لمن نظرنظرة اعتبار، وقيل: المراد أنها مفصول بعضها عن بعض في الزمان، أي لم تحدث كلها في وقت واحد، بل حدث بعضها بعد بعض، وعلى هذا فصيغة التفعيل للدلالة على تراخي المدة بين الواحدة والأخرى، ويجيء على هذا أن العذاب كان أشد وأطول زمناً كما دل عليه قوله تعالى: (وما نريهم من آية إلاّ هي أكبر من أختها)[٥]، قيل: كان بين الآية منها والأخرى مدة شهر أو مدة ثمانية أيام، وكانت تدوم الواحدة منها مدة ثمانية أيام وأكثر، وعلى هذا الوجه فالأنسب أن يجعل مفصلات حالاً ثانية من الطوفان والجراد، وأن لا يجعل صفة آيات، والفاء في قوله: (فاستكبروا)، للتفريع

---

[١] إعراب القرآن، **قاسم حميدان دعاس**، ٣٩٠/١.

[٢] سورة الفيل، آية/.

[٣] سورة الذاريات، آية/ ٤١.

[٤] ينظر: التحرير والتنوير، ٦٩/٩.

[٥] سورة الزخرف، آية/٤٨.

والترتب، أي: فتفرع على إرسال الطوفان وما بعده استكبارهم، كما تفرع على أخذهم بالسنين غرورهم بأن ذلك من شؤم موسى ومن معه، فعُلم أن من طبع تفكيرهم فسادَ الوضع، وهو انتزاع المدلولاتمن أضداد أدلتها، وذلك دليل على انغماسهم في الضلالة والخذلان، وبعدهم عن السعادة والتوفيق، فلا يزالون مورطين في وحل الشقاوة، فالاستكبار: التكبر، دلت عليه السين والتاء، أي: عد أنفسهم كبراء، أي: تعاظمهم عن التصديق بموسى وإبطال دينهم إذ أعرضوا عن التصديق بتلك الآيات المفصلات[١].

خامسا: المعنى العام للآية.

(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ)، أي: فأرسلنا عليهم سيلا جارفا أغرق الزروع والثمار، وأرسلنا الجراد، فأكل زروعهم وثمارهم وأبوابهم، وسقوفهم وثيابهم،**(وَالْقُمَّلَ الضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا)**، أي: وأرسلنا القمل الذي يفسد الثمار ويقضي على الحيوان والنبات، وأرسلنا الضفادع فملأت آنيتهم وأطعمتهم ومضاجعهم، وأرسلنا أيضا الدم فصارت أنهارهم وآبارهم دما، ولم يجدوا ماء صالحا للشرب، هذه آيات من آيات الله لا يقدر عليها غيره، ومع كل هذا ترفع قوم فرعون، فاستكبروا عن الإيمان بالله عز وجل،**(وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ)**، أي: وكانوا قوما يعملون بما نهى الله عز وجل عنه، من المعاصي والفسق عتوا وتمردا[٢].

سادسا: الإعجاز في خلق الجراد.

أن أسراب الجراد تنتقل من بلد إلى آخر، وتكافح من هذا البلد، وتفلت من أيدي المكافحين في بلد آخر، هذه الجرادة التي تبدو للناس ضعيفة هي شيء خطير، لأن كمية الطعام التي تأكلها الجرادة يوميا تعادل وزنها، فإذا كان سرب من الجراد يزن ثمانين ألف طن، فهو يأكل في اليوم الواحد ألف طن من المواد الغذائية، وله اسمه يشير إلى ذلك، فلا يدع شيئا من أوراق الأشجار، ولا

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير، ٩/٧٠، ٧١.

[٢] ينظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، ط٢، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ص ١٦٦.

من ثمارها، ولا من لحائها، فهي لا تبقي ولا تذر، ويوجد في الكيلو متر الواحد المربع من أسراب الجراد ما بين مئة مليون، ومئتي مليون جرادة، ويزيد طول بعض أسراب الجراد على أربعمئة كيلو متر – أي: من دمشق إلى حلب أو أكثر – ويضم بعض أسراب الجراد أكثر من أربعين ألف مليون جرادة[١].

المطلب الثالث

خروج الكافرين من قبورهم

يصور الله عز وجل عملية خروج الكافرين من قبورهم ذليلة أبصارهم، يخرجون كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم للحساب جراد منتشر، مسرعين إلى ما دعوا إليه، فقال تبارك وتعالى: **(خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ)**[٢]، وسيكون الكلام عنها وفق الآتي:

أولا: تحليل الكلمات.

١) قوله تعالى: (خشعا)، الخشوع: الرمي بالبصر إلى الأرض، وتخاشعت: تشبهت بالخاشعين، ورجل متخشع أي: متضرع، والخشوع والتخشع والتضرع واحد، وأخشعت أي: طأطأت، ومنها قوله تعالى: **(وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا)**[٣].

٢) قوله تعالى: (أبصارهم)، البصر: حاسة الرؤية، وأبصرتالشيء أي: رأيته، والبصير خلاف الضرير، وباصرته إذا أشرفت تنظر إليه من بعيد والبصر: العلم وبصرت بالشيء علمته، وشخوص البصر: ارتفاع الأجفان إلى فوق، وتحديد النظر، وانزعاجه[٤].

٣) قوله تعالى: (الأجداث)، الأجداث: القبور واحدها جدث، والجمع أجداث[٥].

---

[١] موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، **للنابلسي**، ٢٣٣/٢.

[٢] سورة القمر، آية/٧.

[٣] سورة طه، آية/١٠٨، ينظر: العين، ١١٢/١، مادة (خشع) ، ولسان العرب، ٧١/٨، مادة، (خشع).

[٤] ينظر: لسان العرب، ٢٢١٢/٤، مادة (بصر).

[٥] ينظر: العين، ٧٣/٦، مادة (جدث)، ولسان العرب، ٥١٧/١، مادة (جدث).

ثانيا: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.

بعد أن أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بالإعراض عن الكافرين، بقوله تعالى: **(فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ)**[١]، أي: فأعرض عنهم يا محمد، ولاتتعب نفسك بدعوتهم، حيث لا يؤثر الإنذار فيهم، بعد هذا العناد والمكابرة، وانتظرهم، واذكر يوم يدعو الداعي فيه وهو إسرافيل، إلى شيء هائل تنكره نفوسهم، استعظاما له، إذ لا عهد لهم بمثله أبدا، وهو موقف الحساب الرهيب، وما يشتمل عليه من الأهوال والبلايا، وكلمة (نكر)، أي: منكور غير معروف، ولا يرى مثله، وهو نعت للأمر الشديد، وهذا وعيد لهم، ذلك اليوم هو يوم يخرج الناس من قبورهم، ويكون الكفار ذليلة أبصارهم، من الذل والهوان، كأنهم لانتشارهم واختلاطهم إذا توجهوا نحو المحشر والداعي: جراد منتشر موزع في الآفاق، أو مثل الفراش المبثوث، كما في آية أخرى: **(يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ)**[٢]، ويكونون مهطعين، أي مسرعين في مشيهم نحو المقصد، إما لخوف أو طمع ونحوه، ويسيرون نحو الداعي لهم وهو إسرافيل دون تلكؤ ولا تأخر، ويقول الكافرون: هذا يوم صعب، شديد الهول على الكفار، ولكنه ليس بشديد على المؤمنين، وشدته لما يرون من مخايل هوله وعلامات مشقته[٣].

ثالثا: إعراب الآية.

قوله تعالى: **(خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ)**.

(خشعا) منصوب على الحال، (أبصارهم) مرفوع بفعله هذه قراءة أهل الحرمين، (من الأجداث) متعلّق ب (يخرجون)، وجملة: (يخرجون)لا محل لها استئنافيّة وجملة: (كأنّهم جراد) في محل نصب حال من فاعل يخرجون[٤].

---

[١] سورة القمر، آية/٦.

[٢] سورة القارعة، آية/٤.

[٣] ينظر: التفسير الوسيط، **وهبة الزحيلي**، ٢٥٣٩/٣، ٢٥٤٠.

[٤] ينظر: الجدول في إعراب القرآن، ٦٦/٢٧.

رابعا: القضايا الأسلوبية والبلاغية.

(خشعاً أبصارهم)، أي: أي ذليلة ينظرون من طرف خفي لا تثبت أحداقهم في وجُوه الناس، وهي نظرة الخائف المفتضح وهو كناية لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تَظهران في عيونهما،(كأنهم جراد منتشر)، أي: تشبيههم بالجراد المنتشر في الاكتظاظ واستتار بعضهم ببعض من شدة الخوف زيادة على ما يفيده التشبيه من الكثرة والتحرك[١].

خامسا: القراءات وتوجيهها.

قوله تعالى: (خشعا)، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي خاشعا أبصارهم بالألف على التوحيد واحتجوا بحرف ابن مسعود خاشعة أبصارهم على التوحيد والعرب تجتزئ في مثل هذا وتختار التوحيد لأنه قد جرى مجرى الفعل إذ كان ما بعده قد ارتفع به نحو مررت بقوم حسن وجوههم والتقدير حسن وجوههم، وقرأ الباقون خشعا بضم الخاء وتشديد الشين جمع خاشع وخشع وراكع وركع وتنصب خشعا و خاشعا على الحال قيل: ولك في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد نحو خاشعا أبصارهم والتأنيث لتأنيث الجماعة نحو خاشعة أبصارهم ولك الجمع نحو خشعا أبصارهم تقول مررت بشباب حسن أوجههم وحسان أوجههم وحسنة أوجههم[٢].

سادسا: المعنى العام للعام.

(خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ)، أي: ذليلةً أبصارهم لا يستطيعون رفعها من شدة الهول، **(يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ)**، أي: يخرجون من القبوركأنهم في انتشارهم وسرعة إجابتهم للداعي جرادٌ منتشر في الآفاق، لا يدرون أين يذهبون من الخوف والحيرة، إنما شبههم بالجراد المنتشر، لأن الجراد لا جهة له يقصدها، فهم يخرجون من القبور فزعين ليس لأحدٍ منهم جهة يقصدها[٣].

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير، ١٧٧/٢٧.

[٢] ينظر: حجة القراءات، **عبد الرحمن بن محمد المعروف بأبي زرعة**، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، ص٦٨٨.

[٣] ينظر: صفوة التفاسير، **محمد علي الصابوني**، ٢٦٧/٣.

المطلب الرابع

الوحي إلى النحل

من المعلوم أن النحل من الحشرات الطائرة، ومسلكها وطريقها الهواء والجو، حيث تنتقل بين الأزهار والأشجار، قال تعالى: **(وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)**[١]، وسيكون الكلام عنها وفق الآتي:

أولا: تحليل الكلمات.

١) قوله تعالى: **(وأوحى ربك)**، الوحي في اللغة: الواو والحاء والحرف المعتل، أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك، فالوحي: الإشارة، والوحي: الكتاب والرسالة، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان[٢].

٢) قوله تعالى: **(إلى النحل)** النحل: حشرة من رتبة الأجنحة من الفصيلة النحلية، وإليها تنسب فصيلة النحليات، تربى للحصول على عسلها وشمعها، يقال للذكر والأنثى، وقد أنثها الله سبحانه، فقال: **(أن اتخذي من الجبال بيوتا)** فقد ذكر النحل فلأن لفضه مذكر، ومن أنثه فلأنه جمع نحلة[٣]، وقال الزجاج: جائز أن يكون سمي نحلا لأن الله عز وجل نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها[٤].

---

[١] سورة النحل، آية/٦٨- ٦٩.

[٢] ينظر: العين، ٣/٣٢٠، مادة (وحي)، والصحاح، ٦/٢٥٢٠، مادة (وحي)، ومقاييس اللغة، ٦/٩٣، مادة، (وحي).

[٣] ينظر: تفسير المفردات في غريب القرآن، **أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ص٧٩٥.

[٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه، **للزجاج**، ٢/١٢.

٣) قوله تعالى: **(ومما يعرشون)** العرش في اللغة: العين والراء والشين أصل صحيح واحد، يدل على ارتفاع في شيء مبني، ثم يستعار في غير ذلك، وعرش البيت يعرشه عرشا وعروشا: بناه[١].

٤) قوله تعالى: **(فاسلكي)**، سلك: السين واللام والكاف أصل يدل على نفوذ شيء في شيء، والجمع: السلوك: وهي الخيوط التي يخاط بها الثياب، والمسلك: الطريق، سلكته سلوكا[٢]، والسلوك: المرور وسط الشيء من طريق ونحوه[٣].

٥) قوله تعالى: **(سبل ربك)**، السبيل: هو الطريق وما وضح منه، يذكر ويؤنث، وقيل: هو كل مأتي إلى الشيء، وقيل: هو طريق الجادة السابلة عليه، والظاهر لكل سالك منهجه[٤].

وقد ذكرت كلمة السبيل ومشتقاتها في القرآن الكريم نحو مائة وخمس وسبعين مرة.

وجاءت كلمة السبيل في القرآن الكريم بمعاني كثيرة منها:

– بمعنى الطريق السهل، أو طريق النجاة، قال تعالى: **(وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا)**[٥].

– بمعنى طريق ثابت يراه الناس، قال تعالى: **(وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ)**[٦].

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ٢٦٤/٤، مادة (عرش)، وتاج العروس، ٢٥٨/١٧، مادة (عرش).

(٢) ينظر: العين، ٣١١/٥، مادة (سلك)، والصحاح، ١٥٩١/٤، مادة (سلك)، ومقاييس اللغة، ٩٧/٣، مادة (سلك).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٠٨/١٤.

(٤) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، **زين الدين محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي**، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ص ٣٩٦، ٣٩٧.

(٥) سورة الأعراف، آية/١٤٦، ينظر: الجامع لأحكام القرآن، **أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري شمس الدين القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٣، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م، ٢٨٣/٧، وتفسير القرآن العظيم، **أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي المعروف بابن كثير**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، محمد علي بيضون، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ٤٢٧/٣.

(٦) سورة الحجر، آية/٧٦، ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، **أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله المعروف بابن جزي**، تحقيق: د عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ٤٢٠/١.

- بمعنى الممر، قال تعالى: **(فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا)**[١].

- بمعنى المخرج، قال تعالى: **(أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا)**[٢].

٦) قوله تعالى: (ذللا)، الذلول: السهل الانقياد، ويقال: ركبوا كل صعب وذلول في أمرهم، واتخذوا كل سبيل، وقيل: هو الطريق الممهد[٣].

ثانيا: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.

بعد بيان وعد المؤمنين بالجنان، والكافرين بالنيران، وتسلية النبي ﷺ عما ناله من أذى قومه، ونسبة الشرك إلى الله تعالى، وحصر مهمته في بيان أحكام القرآن الكريم، عاد تعالى إلى اثبات قدرته ووجوده ووحدانيته بدلائل حسية مشاهدة لكل راء أمامه صباح مساء، إثبات الزرع والشجر بالمطر، وإخراج اللبن من الأنعام، واتخاذ أصناف المآكل من الأعناب والنخيل، وإخراج العسل من بطون النحل، الذي فيه شفاء للناس[٤]، ثم الانتقال من الاستدلال بدقائق صنع الله على وحدانيته إلى الاستدلال في الخلق التصرف الغالب لهم الذي لا يستطيعون دفعه، على انفراده بربوبيتهم، وعلى عظمة قدرته، وبين الله تعالى الذي أحياكم سيميتكم ويتوفاكم وبين أن منكم سيرد إلى أرذل العمر[٥].

ثالثا: إعراب الآية.

قوله تعالى: **(وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي)**، قال: **(اتخذي)** لأنها مؤنثة والعرب تقول في تصغيرها: **(نحيل)** بغير هاء لئلا تشبه الواحدة[٦].

---

[١] سورة الكهف، آية/٦١، ينظر: زاد المسير في علم التفسير، **جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي المعروف بالجوزي**، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٩٦/٣.

[٢] سورة النساء، آية/١٥، ينظر: جامع البيان، **للطبري**، ١٣٩/١٤.

[٣] ينظر: المعجم الوسيط، ٣١٥/١.

[٤] ينظر: تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، **د وهبة مصطفى الزحيلي**، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ، ١٦٨/١٤.

[٥] ينظر: التحرير والتنوير، ٢١١/١٤.

[٦] ينظر: إعراب القرآن، **للنحاس**، ٢٥٥/٢.

(الواو) استئنافية، (أوحى) فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف، (ربك) فاعل مرفوع، و(الكاف) مضاف إليه، (إلى النحل) جار ومجرور متعلق ب(أوحى)، (أن) (مراجعة المصدر)، (اتخذي) فعل أمر مبني على حذف النون، و(الياء) ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل، (من الجبال) جار ومجرور متعلق ب(اتخذي) و(من) تبعيضية، (بيوتا) مفعول به منصوب، (الواو) عاطفة في الموضعين، (من الشجر) جار ومجرور متعلق بما تعلق به الجار والمجرور الأول فهو معطوف عليه، (من) حرف جر، (ما) اسم موصول مبني في محل جر متعلق بالفعل الأخير ومعطوف على الجار الأول، (يعرشون) فعل مضارع مرفوع[١].

رابعا: القضايا الاسلوبية والبلاغية.

أطلق الوحي هنا على التكوين الخفي الذي أودعه الله تعالى في طبيعة النحل، بحيث تنساق إلى عمل منظم مرتب بعضه على بعض، لا يختلف فيه آحادها تشبيها للإلهام بكلام خفي يتضمن ذلك الترتيب الشبيه بعمل المتعلم بتعليم المعلم، أو المؤتمر بإرشاد الآمر، الذي تلقاه سرا، فإطلاق الوحي استعارة تمثيلية، و(أن) تفسيرية للاستعارة التمثيلية، لأن (أن) التفسيرية من روادف الأفعال الدالة على معنى القول دون حروفه[٢].

قال الآلوسي: (النحلة لما اتبعت الأمر وسلكت سبل ربها على ما أمرت به جعل الله لعابها شفاء للناس، وكذلك المؤمن إذا اتبع الأمر وحفظ السر وأقبل على ربه عز وجل جعل رؤيته وكلامه ومجالسته شفاء للخلق)[٣].

---

[١] ينظر: الجدول في إعراب القرآن، ٣٤٩/١٤.

[٢] ينظر: التحرير والتنوير، ٢٠٥/١٤.

[٣] روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، **شهاب الدين محمود بن عبدالله المعروف بأبي الثناء الآلوسي**، تحقيق، علي عبدالباري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ٤٤٥/٧.

خامسا: القراءات وتوجيهها.

قوله تعالى: (يعرشون) اختلف العلماء في ضم الراء وكسرها إلى قراءتين:

القراءة الأولى: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم بكسر الراء[١].

القراءة الثانية: قرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر بضم الراء فيهما[٢].

سادسا: المعنى العام للآية.

ألهم الله تعالى النحل أسباب حياتها ووسائل معيشتها، فقال عز وجل: **(وأوحى ربك إلى النحل)**، يقول ابن عباس (رضي الله عنه): ألهم ربك النحل[٣]، وقيل: ألقى على مسامعها أو قذف في أنفسها ففهمته[٤].

وقيل: أي: جعل في غرائزها ذلك[٥]، وهي تتخذ بيوتا في كهوف الجبال، وفي الشجر، وفي عرائس الكرم، ومما يبنون من البيوت وقد جرت عادة أهلها أنهم يبنون لها الأماكن، فقال تعالى: **(أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون)**[٦]، ومن يرى خلية النحل وما فيها من نظام وتدبير وهندسة بيوت يجد العجب في هذه القدرة الفائقة والترتيب العجيب، فالخلية مملكة قائمة بذاتها، لها ملكة واحدة، وعدد كبير من الشغالين منهم يطعم الملكة التي تبيض لهم، ومنهم من يخدم الصغار

---

(١) ينظر: السبعة في القراءات، **أحمد بن موسى المعروف بابن مجاهد**، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط٢، ١٤٠٠هـ، ص٢٩٢، وحجة القراءات، ص٢٩٤.

(٢) ينظر: الأحرف السبعة للقرآن، **عثمان بن سعيد**، تحقيق: د عبدالمهيمن طحان، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٨هـ، ص٤٠.

(٣) ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، **عبد الله بن عباس** ﷺ، جمعه: **مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي**، دار الكتب العلمية، لبنان، ص٢٢٦.

(٤) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، **أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو اسحق الثعلبي**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٠م، ٢٨/٦.

(٥) ينظر: تفسير السمعاني، **أبو المظفر منصور بن محمد بن عبدالجبار بن أحمد المروزي السمعاني**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، غنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ١٨٥/٣.

(٦) ينظر: تفسير السمعاني، ١٨٥/٣، وتفسير المراغي، **أحمد بن مصطفى المراغي**، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م، ١٠٥/١٤.

ويصنع العسل والشمع الذي تبنى منه البيوت السداسية الشكل العجيبة في الدقة والصنع، فقال تعالى: **(فاسلكي سبل ربك ذللا)**، أي: فادخلي طرق ربك مذللة مسخرة لذلك السلوك، وكل ذلك بتدبير الله عز وجل وقدرته[١].

وبعد أن خاطب الله عز وجل النحل أخبر الناس بفوائدها لأن النعمة لأجلهم فقال تعالى: **(يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس)**، أي: يخرج من بطونها عسل مختلف الألوان وهو علاج للناس من كثير من الأمراض[٢]، وقد توصل العلماء إلى أن أقدم أنواع العسل ما وجد في كهوف الجبال، ثم عسل الشجرة، ثم عسل الخلايا والمناحل، وأن هذا الاكتشاف جاء مطابقا لما ورد في ترتيب الآية الكريمة[٣].

سابعا: الإعجاز في خلق النحل.

في قوله تعالى: **(وأوحى ربك إلى النحل....)**، إعجاز من وجوه ومنها:

الوجه الأول: أنها تبني البيوت المسدسة من أضلاع متساوية، لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها، والعقلاء من البشر لا يمكنهم بناء مثل تلك البيوت إلا بآلات وأدوات.

الوجه الثاني: أنه ثبت في الهندسة أن تلك البيوت لو كانت مشكلة بأشكال سوى المسدسات فإنه يبقى بالضورة فيما بين تلك البيوت فرج خالية ضائعة، أما إذا كانت تلك البيوت مسدسة فإنه لا يبقى فيما بينها فرج ضائعة، فإهداء ذلك الحيوان الضعيف إلى هذه الحكمة الخفية والدقيقة اللطيفة من الأعاجيب[٤]. وكل هذه الأمور تندرج ضمن الإعجاز الرباني في خلق المخلوقات، سواء أكانت هذه المخلوقات صغيرة أم كبيرة.

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، **ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي المعروف بالبيضاوي**، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ٢٣٣/٣. وتفسير المراغي، ١٠٥/١٤.

(٢) ينظر: تفسير المراغي، ١٠٥/١٤.

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي، ٨٠٥٢/١٣.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير المعروف ب(تفسير الرازي) **أبو عبد الله بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ٢٣٦/٢٠.

المطلب الخامس

ضرب المثل بالذباب

ضرب الله سبحانه وتعالى للناس مثلا الذبابة، هذا المخلوق العجيب الغريب الضعيف المستقذر، والذي يتكاثر بسرعة جنونية، فقال تبارك وتعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)**[١]، وسيكون الكلام عنها وفق الآتي:

أولا: تحليل الكلمات.

١) قوله تعالى: **(ضرب مثل)**، الضرب في اللغة: ضرب يضربه ضربا، وضرب في الأرض ضربا ومضربا بالفتح، أي: سار في ابتغاء الرزق، والضرب يقع على جميع الأعمال، ضرب في التجارة، يقال: أن في ألف درهم لمضربا، وضرب في الأرض، وضرب في سبيل الله تعالى، يصف ذهابهم وأخذهم فيه، وضرب يده إلى كذا، وضرب فلان على يد فلان، أي: حبس عليه أمرا أخذ فيه وأراده، ويقال أي: حجر عليه، وضرب أي: وصف وبين، يقول الله تعالى: **(ضرب الله مثلا)**[٢].

المثل في اللغة: المثل بكسر الميم، يقال هذا مثله، والفرق بين المماثلة والمساواة، أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين، لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين، تقول: نحوه كنحوه، وفقهه كفقهه، ولونه كلونه، وطعمه كطعمه، فإن قيل هو مثله على الإطلاق فمعناه: أنه يسد مسده، وإذا قيل: مثله في كذا، فهو مساو له في جهة دون جهة، والمثل : الصفة، ومنه قول الله تعالى: **(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ)**[٣]، قيل: مثلها هو الخبر عنها، وقيل: صفة الجنة، وتمثل بالشيء أي: ضربه مثلا، والمثال بالكسر، أي: المقدار، والمثل بضمتين، أي: سادات ليس فوقهم أحد، وماثل الشيء أي: شابهه، والتمثال أي:

---

[١] سورة الحج: آية/ ٧٣.

[٢] ينظر: العين ٣٠/٧، مادة (ضرب)، وتاج العروس، ١٦٨/١، مادة (ضرب).

[٣] سورة محمد، أية/١٥.

الصورة، والجمع تماثيل، ومثل له الشيء أي: صوره كأنه ينظر إليه، والجمع أمثله، ومثلت له تمثيلا اي: صورت له مثاله بكتابة وغيرها[١].

٣) قوله تعالى: **(لن يخلقوا ذبابا)**، الخلق في اللغة: الخليقة بفتح الخاء أي: الخلق بضم الخاء، والخليقة الطبيعة، والجميع الخلائق، وخلقت الأديم أي: قدرته، يقال: خلق بفتح الخاء وضم اللام لهذا الأمر فهو خليق له، أي: جدير به[٢]، والله تبارك وتعالى هو الخالق والخلاق، ولا تجوز هذه الصفة بالألف واللام لغير الله عز وجل، وهو الذي أوجد الأشياء جميعها، بعد إن لم تكن موجودة، وأصل الخلق التقدير، والخلق في كلام العرب، ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه، وكل شيء خلقه الله تبارك وتعالى فهو مبتدئته، على غير مثال سبق إليه، يقول الله تعالى: **(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)**[٣].

الذباب: هو الذباب الأسود، الذي يكون في البيوت، يسقط في الإناء والطعام، والواحدة، ذبابة، ولا تقل ذبانه، وقيل المراد بالذباب هو النحل، وقيل: الذباب بضم الذال هو الطاعون، وقيل: الجنون[٤].

٤) قوله تعالى: (يسلبهم) السلب: سلبت الشيء سلبا، والاستلاب: الاختلاس والسلاب: واحد السلب، مثل كتاب وكتب، وهي ثياب المآتم السود، يقال: نخل سلب أي لا حمل عليها، وشجر سلب أي: لا ورق عليه[٥]، وقيل: كل لباس على الإنسان سلب، والسلوب بفتح السين، هي النوق التي يؤخذ ولدها، وجمعه سلائب، وقيل: هي الناقة إذا ألقت ولدها بغير تمام، وجمعه سلب، بضم السين واللام والباء[٦].

---

[١] ينظر: لسان العرب، ٦١٠/١١ وما بعدها، مادة (مثل) ، وتاج العروس، ٣٠/ ٣٧٩، ٣٨٠، مادة (مثل).

[٢] ينظر: العين ١٥١/٤، مادة (خلق).

[٣] سورة الأعراف، آية/ ٥٤، وينظر: لسان العرب ٨٥/١٠، مادة (خلق).

[٤] ينظر: لسان العرب، ٣٨٢/١، مادة (ذبب) .

[٥] ينظر: الصحاح، ١٤٨/١، ١٤٩، مادة (سلب) .

[٦] ينظر: العين، ٢٦١/٧، مادة (سلب) .

ثانيا: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.

بعد أن أبان الله تعالى أنه العليم بكل شيء، بيّن أن عبادة المشركين لغير الله تعالى لا تعتمد على دليل نقلي أو عقلي، وهم مع جهلهم وغباوتهم إذا أرشدوا إلى الحق ودليله، وتلي عليهم القرآن، ظهر في وجوههم الغيظ والغضب، وهموا أن يبطشوا بمن يتلو ويذكّرهم، ولكن ما ينالهم من النار أعظم مما يحصل لهم من الغم حين تلاوة الآيات، ولما بين أنهم يعبدون من دون الله مالا حجة لهم فيه ولا علم، ذكر ما يدل على إبطال قولهم وجهلهم بعظمة الإله، (مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)[١]، أي: ما عظموه حق عظمته، إذ أشركوا به العاجز عن دفع الذباب عنه والانتصاف منهقادر على خلق الممكنات بأسرها ثم أردف الله تعالى ذلك بقوله: **(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)**[٢]، ثم انتقل من الإلهيات إلى النبوات، وأبان أنه يختار الرسل من الملائكة والناس ممن يعلم أنه الأكفاء والأوفق وأن الله سميع لمقالتهم، مدرك للأشياء كلها[٣].

ثالثا: إعراب الآية.

قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)**.

(يا) أداة نداء (أيها) منادى نكرة مقصودة في محل نصب مفعول به لأدعو المقدرة والها حرف تنبيه لا محل لها (الناس) بدل أو عطف بيان والجملة مستأنفة (ضرب مثل) ماض مبني للمجهول ونائب فاعل والجملة ابتدائية (فاستمعوا) الفاء الفصيحة وأمر مبني على حذف النون والواو فاعله (له) متعلقان باستمعوا والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (إن) حرف مشبه بالفعل (الذين) موصول في محل نصب اسم إن وجملة إن الذين تفسيرية لا محل لها (تدعون) مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة صلة (من دون) متعلقان بمحذوف حال (الله) لفظ

---

[١] سورة الحج، آية/٧٤.

[٢] سورة الحج، آية/٧٥.

[٣] ينظر: التفسير المنير، **وهبة الزحيلي**، ١٧/ ٢٧٥- ٢٧٦.

الجلالة مضاف إليه (لن يخلقوا) مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه حذف النون (ذبابا) مفعول به والجملة خبر إن (ولو) الواو عاطفة ولو حرف شرط غير جازم (اجتمعوا) ماض وفاعله (له) متعلقان باجتمعوا والجملة معطوفة وجملة اجتمعوا جملة الشرط ابتدائية لا محل لها وجواب لو محذوف تقديره لا يقدرون (وإن) الواو استئنافية وإن شرطية (يسلبهم) مضارع مجزوم فعل الشرط والهاء مفعول به (الذباب) فاعل (شيئا) مفعول به ثان والجملة ابتدائية لا محل لها (لا يستنقذوه) لا نافية ومضارع مجزوم لأنه جواب الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به (منه) متعلقان بالفعل قبله والجملة لا محل لها لأنها لم تقترن بالفاء الرابطة (ضعف الطالب) ماض وفاعله (والمطلوب) معطوف على الطالب والجملة مستأنفة[١].

رابعا: القضايا الأسلوبية والبلاغية.

أعقبت تضاعيف الحجج والمواعظ والإنذارات التي اشتملت عليها السورة مما فيه مقنع للعلم بأن إله الناس واحد وأن ما يُعبد من دونه باطل، أعقبت تلك كلها بمثَل جامع لوصف حال تلك المعبودات وعابديها، والخطاب ب (ياأيها الناس) للمشركين لأنهم المقصودون بالردّ والزجر وبقرينة قوله: (إن الذين تدعون)، على قراءة الجمهور تدعون بتاء الخطاب، فالمراد ب(الناس)، هنا (المشركين) على ما هو المصطلح الغالب في القرآن، ويجوز أن يكون المراد ب(الناس)، جميعَ الناس من مسلمين ومشركين، وفي افتتاح السورة ب (يا أيها الناس)، وتنهيتها بمثل ذلك شبه بردالعجز على الصدر، ومما يزيده حسناً أن يكون العجز جامعاً لما في الصدر وما بعده، حتى يكون كالنتيجة للاستدلال والخلاصةِ للخطبة والحوصلة للدرس[٢].

---

[١] ينظر: إعراب القرآن الكريم، **قاسم حميدان دعاس**، ٣٢٢/٢.

[٢] ينظر: التحرير والتنوير، ٣٣٧/١٧، ٣٣٨.

فإن قيل: الذي جاء به ليس بمثل، فكيف سماه مثلا ؟ قلت: قد سميت الصفة أو القصة الرائعة الملتقاة بالاستحسان والاستغراب، مثلا، تشبيها لها ببعض الأمثال المسيرة، لكونها مستحسنة مستغربة عندهم[١].

وضرب المثل: ذكره وبيانه، استعير الضرب للقول والذكر تشبيها بوضع الشيء بشدة، أي ألقي إليكم مثل، وتقدم بيانه عند قوله تعالى: **(أن يضرب مثلا....)**، وبني فعل (ضرب)، بصيغة النائب فلم يذكر له فاعل بعكس ما في المواضع الأخرى التي صرح فيها بفاعل ضرب المثل نحو قوله تعالى: **(إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا** ما...) وفي قوله تعالى: **(ضَرَبَ اللَّـهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا...)**[٢]، وفي قوله تعالى: **(ضرب اللَّـهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ...)**[٣]، وفي قوله تعالى: **(وَضَرَبَ اللَّـهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ...)**[٤]، إذ أسند في تلك المواضع وغيرها ضرب المثل إلى الله، ونحو قوله تعالى: **(فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّـهِ الْأَمْثَالَ...)**[٥]، وفي قوله تعالى: **(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ...)**[٦]، إذ أسند الضرب إلى المشركين، لأن المقصود هنا نسج التركيب على إيجاز صالح لإفادة احتمالين:

أحدهما: أن يقدر الفاعل الله تعالى وأن يكون المثل تشبيها تمثيليا، أي أوضح الله تمثيلا يوضح حال الأصنام في فرط العجز عن إيجاد أضعف المخلوقات كما هو مشاهد لكل أحد.

والثاني: أن يقدر الفاعل المشركين ويكون المثَل بمعنى المماثل، أي جعلوا أصنامهم مُماثلة لله تعالى في الإلهية، واستعملت صيغة الماضي في (ضرب)، مع أنه لمايقل لتقريب زمن الماضي من الحال كقوله تعالى: **(لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا...)**[٧].

---

[١] ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، **أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٧٢/٣.

[٢] سورة النحل، آية/ ٧٥.

[٣] سورة الزمر، آية/ ٢٩.

[٤] سورة النحل، آية/ ٧٦.

[٥] سورة النحل، آية/ ٧٣.

[٦] سورة يس، آية/ ٧٨.

[٧] سورة النساء، آية/٩.

أي: لو قاربوا أن يتركوا، وذلك تنبيه للسامعين بأن يتهيأوا لتلقي هذا المثل، لما هو معروف لدى البلغاء من استشرافهم للأمثال ومواقعها،والتشبيه في هذه الآية ضمني خفييُنبئ عنه قوله تعالى: **(لو اجتمعوا له)**، وقوله تعالى: **(لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب)**، فشبهت الأصنام المتعددة المتفرقة في قبائل العرب وفي مكة بالخصوص بعظماء، أي عند عابديها، وشبهت هيئتها في العجز بهيئة ناس تعذر عليهم خلق أضعف المخلوقات، وهو الذباب[١].

خامسا: القراءات وتوجيهها.

قوله تعالى: **(إن الذين تدعون)** قرأ يعقوب، **(إن الذين يدعون)** بالياء بالغيب والباقون بالخطاب[٢].

سادسا: المعنى العام للآية.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ)، أي: يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له وتدبروه: إن الأصنام والأنداد التي تعبدونها من دون الله لن تقدر مجتمعة على خلق ذبابة واحدة، فكيف بخلق ما هو أكبر؟ **(وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ)**، أي: ولا تقدر أن تستخلص ما يسلبه الذباب منها، فهل بعد ذلك من عجز؟ **(ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)**، أي: فهما ضعيفان معا: ضعف الطالب الذي هو المعبود من دون الله أن يستنقذ ما أخذه الذباب منه، وضعف المطلوب الذي هو الذباب، فكيف تتخذ هذه الأصنام والأنداد آلهة، وهي بهذا الهوان؟[٣].

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير، ٣٣٩/١٧، ٣٤٠.

[٢] ينظر: التيسير في القراءات السبع، ٤٧٣/١.

[٣] ينظر: زاد المسير لابن الجوزي، ٢٥٩/٣، وابن كثير، ٣٩٧/٥، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، **محمد بن محمد العمادي المعروف بأبي السعود**، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٢٠/٦، والتفسير الميسر ٣٤١/١.

سابعا: الإعجاز في خلق الذبابة.

لقد ضرب اللهُ ﷻ للناس الذبابة مثلا، هذا المخلوق الضعيف المستقذر، الذي يتكاثر بسرعة جنونية، والذي يبدو ضعيفا، لو أنك رششت مكانا موبوءا بالذباب، وقضيت على كل الذباب إلا ذبابة واحدة، لأنتجت هذه الذبابة جيلا من الذباب يقاوم هذه المادة التي رششتها في هذا المكان، فتصنيع المضادات الحيوية عند الذباب شيء معجز، فأي شيء يقضي على الذباب تصنع الذبابة في أجهزتها الدقيقة مضادا حيويا يكسبها مناعة ضد هذه المادة الفعالة، حتى إن الذباب إذا مات في البرد ينجب جيلا يقاوم البرد، كبرت عين الذبابة مئات المرات، فكان من هذا التكبير العجب العجاب، آلاف العدسات المرصوصة بعضها إلى جانب بعض تحقق للذبابةِ رؤية كاملة، فهذا المخلوق الضعيف الذي يشمئز الناس منه يستطيع أن يناور مناورة لا تستطيع أعظم الطائرات الحربية وأحدثها أن تفعل فعلها، إنها تسير بسرعة فائقة بالنسبة إلى حجمها، وتستطيع أنْ تنتقل فجأة إلى زاوية قائمة، وتستطيع أن تنتقل من سقف إلى سقف، وهذا شيء لا تستطيع طائرة في الأرض أن تفعله، أما الذي يلفت النظر فحديث سيد البشر، فعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالأُخْرَى شِفَاءً)**[(١)].

أكد العلم الحديث صحة هذا الحديث، فقد كشف أن في بعض جناحي الذبابة مادة ترياقية مضادة للجراثيم، ولأنواع الميكروبات، فإذا علق بأرجل الذبابة بعض الجراثيم، أو الميكروبات، أو البكترياتِ الضارة، ووقع هذا الذباب في سائل، فعليك أن تغمس الجناح الثاني، فإن في بعض الأجنحة الدواء الترياق المضاد لهذه الجراثيم[(٢)].

أما الشيء الذي لا يكاد يصدق فهو أن جملتها العصبية تشبه الجملة العصبية عند الإنسان، وعين الذبابة غاية في القوة، وغاية في قوة الإبصار، ولها إدراك عالي المستوى، وقد تتصرف بغضب شديد إذا ما لاح لها خطر، فهي تغضب، وتتعلم، وتحس بالألم، ووزن دماغها واحد من مليون جزء من الغرام، وهو يعمل بأعلى كفاية، وفي الذبابة جملة من الغدد، ولها ذاكرة تستمر

---

(١) صحيح البخاري، ٤/١٣٠، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا وقع الذباب في شراب أحدكم، رقم الحديث: ٣٣٢٠.

(٢) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القران والسنة، **محمد راتب النابلسي**، ٢/٢٣٠، ٢٣١.

دقيقتين، والذباب أنواع منوعة تزيد على مئات ألوف، منه ذباب مفترس، ونوع كالنحلة يمتص الرحيق، ونوع يخمر الفاكهة، ونوع ينافس الطائرات في مناوراتها، وفي سرعتها، وتستطيع أن تضلل مطاردها، وتسخر منه[١].

يقول ابن القيم: واعلم أن في الذباب عندهم قوة سمية يدل عليها الورم، والحكة العارضة عن لسعه، وهى بمنزلة السلاح، فإذا سقط فيما يؤذيه، اتقاه بسلاحه، فأمر النبي ﷺ أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله سبحانه في جناحه الآخر من الشفاء، فيغمس كله في الماء والطعام، فيقابل المادة السمية المادة النافعة، فيزول ضررها، وهذا طب لا يهتدى إليه كبار الأطباء وأئمتهم، بل هو خارج من مشكاة النبوة، ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج، ويقر لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الإطلاق، وأنه مؤيد بوحى إلهى خارج عن القوى البشرية[٢].

المطلب السادس

كلام النملة وتحذيرها

يحكي لنا الحق سبحانه وتعالى قصة النملة التي شاهدت سيدنا سليمان -عليه السلام- وجنوده وهم يجتازون الوادي الذي تعيش فيه، فما كان منها إلا أن طلبت من رفاقها أن يدخلوا مساكنهم تحت سطح الأرض حتى لا تدوسهم الأقدام، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: **(حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)**[٣]، وسيكون الكلام عنها وفق الآتي:

أولا: تحليل الكلمات.

١) قوله تعالى: (نملة)، النمل: معروف واحدته نملة، وأرض نمل: كثيرة النمل، وطعام منمول: أي أصابه النمل، والنملة بالضم: البقية من الماء تبقى في الحوض، والأنملة بالفتح:

---

[١] ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، **محمد راتب النابلسي**، ٢/٢٣١.

[٢] ينظر: الطب النبوي، **محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين المعروف بابن قيم الجوزية**، تحقيق: السيد الجميلي، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ١/١٠٩.

[٣] سورة النمل، أية/١٨.

المفصل الأعلى الذي فيه الظفر من الأصبع، والجمع أنامل وأنملات، وهي رؤوس الأصابع، والنملة هي التي لها قوائم في البراري والخربات[١].

٢) قوله تعالى: **(لا يحطمنكم)**: الحطم : كسر الشيء اليابس كالعظام ونحوها، يقال: حطمته فانحطم، والحطام بضم الحاء والميم، ما تحطم منه وقشر البيض حطام، وقيل: الحطمة: باب من جهنم، والحطيم: حجر مكة[٢]، والتحطيم: التكسير، يقال: أصابهم حطمة أي: سنة وجدب[٣].

ثانيا: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.

هذه قصة ثانية بعد قصة موسى عليه السلام تبين آثار حكمة الله، وتعليمه، وإنزال القرآن، وأنه من حكيم عليم، ففيها يخبر الله تعالى عما أنعم به على داود وسليمان من النعم الجليلة والصفات الجميلة، وما جمع لهما من سعادة الدنيا والآخرة بإيتاء النبوة والملك معا، ابتدأت القصة بقوله تعالى: **(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ)**[٤]، الحمد لله الذي فضلنا على كثير من العباد المؤمنين بهذه العلوم والمعارف الجامعة لخيري الدنيا والآخرة، ولم يؤتهم مثلنا، ثم أردف ذلك بقوله تعالى: **(وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ)**[٥]، أي: خلف سليمان أباه داود بعد موته في ميراث النبوة والعلم والملك، وليس المراد وراثة المال، لأنه خصص بهذا الإرث عن بقية أولاد داود الكثر، ولأن الأنبياء لا تورث أموالهم، ثم أردف ذلك بقوله تعالى: **(وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ)**[٦]، أي: وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير، و ركب فيهم في أبّهة وعظمة، تليه الإنس، ثم الجن، ثم الطير، فإن كان حرّ

---

(١) ينظر: الصحاح، ١٨٣٦/٥، مادة (نمل)، ولسان العرب، ٦٧٨/١١، مادة (نمل)، وتاج العروس، ٣٦/٣١، مادة (نمل).

(٢) ينظر: العين، ١٧٥/٣، مادة (حطم)، وتهذيب اللغة، ٢٣١/٤، مادة (حطم).

(٣) ينظر: الصحاح، ١٩٠٠/٥، مادة (حطم).

(٤) سورة النمل، آية/١٥.

(٥) سورة النمل، آية/١٦.

(٦) سورة النمل، آية/١٧.

أظلته منه بأجنحتها، فهم يجمعون بترتيب ونظام، ثم جاءت بعد ذلك الآيتان ١٨-١٩ والتي كانت في سياق نعم الله تعالى على سليمان وبعدها جاء قول الله عز وجل: **(حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ *فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)**[١].

ثالثا: إعراب الآية.

قوله تعالى: **(حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)**.

(حتى) حرف غاية (إذا) ظرف متضمن معنى الشرط (أتوا) الجملة مضاف إليه (على واد) متعلقان بأتوا وحذفت الياء لالتقاء الساكنين (النمل) مضاف إليه (قالت نملة) الجملة لامحل لها لأنها جواب شرط غير جازم (يا أيها النمل) منادى ب(يا) والنمل بدل من أي (ادخلوا مساكنكم) أمر وفاعله ومفعوله والكاف مضاف إليه والجملة مقول القول (لا يحطمنكم) لا ناهية والمضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والكاف مفعول به مقدم (سليمان) فاعل مؤخر (وجنوده) معطوف (وهم لا يشعرون) الواو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يشعرون خبر[٢].

رابعا: القضايا الأسلوبية والبلاغية.

(أتوا على)، يتوجه على معنيين أحدهما؛ أن إتيانهم كان من فوق، فأتى بحرف الاستعلاء، لما كان قربا من فوق، والثاني: أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره، منقولهم: أتى على الشيء إذا أنفذه وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادي، لأنهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم، قيل: كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس، فنادت: **(على وادي النمل)**، فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال، **(قالت نملة)**، ولو كانت ذكرا لقال: قال نملة، وذلك أنّ النملة مثل الحمامة والشاة

---

[١] سورة النمل، آية/١٨،١٩، ينظر: التفسير المنير، **وهبة الزحيلي**، ١٩-٢٧٢-٢٧٣-٢٧٤-٢٧٥.

[٢] ينظر: إعراب القرآن، للنحاس، ١٣٨/٣، وإعراب القرآن، **قاسم حميدان دعاس**، ٤٠٢/٢-٤٠٣.

في وقوعها على الذكر والأنثى، فيميز بينهما بعلامة، نحو قولهم: حمامة ذكر، وحمامة أنثى، وهو وهي، **(لا يحطمنكم)** يحتمل أن يكون جوابا للأمر، وأن يكون نهيا بدلا من الأمر، والذي جوز أن يكون بدلا منه: أنه في معنى: لا تكونوا حيث أنتم فيحطمكم، على طريقة: لا أرينك ههنا، أراد: لا يحطمنكم جنود سليمان، فجاء بما هو أبلغ، ونحوه: عجبت من نفسي ومن إشفاقها[١].

خامسا: القراءات وتوجيهها.

قوله تعالى: (على وادي النمل)، روى عباس عن أبي عمرو (على واد النمل)، بكسر الواو، وقرأ الباقون (على واد النمل)، مفخما.

قوله تعالى: (ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم)، قرأ عبيد عن أبى عمرو **(لا يحطمنكم)**، ساكنة النون وهو غلط، وقرأ الباقون **(لا يحطمنكم)** مشددة النون، وروى اليزيدي وغيره عن أبى عمرو (لا يحطمنكم) مشددة[٢].

سادسا: المعنى العام للآية.

(حتى إذا أتوا على واد النمل)، أي: حتى إذا وصلوا إلى واد بالشام كثير النمل **(قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم)**، أي: قالت إحدى النمل لرفيقاتها ادخلوا بيوتكم، خاطبتهم مخاطبة العقلاء لأنها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء **(لا يحطمنكم سليمان وجنوده)**، أي: لا يكسرنكم سليمان وجيوشه بأقدامهم **(وهم لا يشعرون)**، أي: وهم لا يشعرون بكم ولا يريدون حطمكم عن عمد حذرت ثم اعتذرت لأنها علمت أنه نبي رحيم، فسمع سليمان كلامها وفهم مرامها[٣].

---

(١) ينظر: تفسير الكشاف، ٣/٣٦٠-٣٦١، وتفسير الرازي، ٢٤/٥٤٨-٥٤٩، والتحرير والتنوير، ١٩/٢٤٠-٢٤١.

(٢) ينظر: السبعة في القراءات، ١/٤٧٨-٤٧٩.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي** (ت: ٥٤٢هـ) ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١،، ١٤٢٢ هـ، ٤/٢٥٤، وصفوة التفاسير، **الصابوني**، ٢/٣٧١.

سابعا: الإعجاز في خلق الذبابة.

النملة حشرة اجتماعية راقية، موجودة في كل مكان، وفي كل وقت، بل إن أنواع النمل تزيد على تسعة آلاف نوع، وبعض النمل يحيا حياة مستقرة في مساكن محكمة، وبعض النمل يحيا حياة الترحال كالبدو تماما، وبعضه يكسب رزقه بجده وسعيه، وبعضه يكسب رزقه بالغدر والسيطرة والنمل حشرة ذات طبع اجتماعي، فإذا عزلت عن أخواتها ماتت، ولو تهيأ لها غذاء جيد، ومكان جيد، وظروف جيدة، فهي كالإنسان، إذا عزلته في مكان بعيد عن الضوء والصوت، والساعة، والزمن، والليل، والنهار عشرين يوما فقد توازنه، وتعلم النملة الإنسان درسا بليغا في التعاون، فإذا التقت نملة جائعة بأخرى شبعى تعطي النملة الشبعى الجائعة خلاصات غذائية مِن جسمها، ففي جهازها الهضمي جهاز ضخ تطعم به غيرها، دققوا في حديث رسول اللهِ ﷺ: (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَبِيتُ وَجَارُهُ إِلَى جَنْبِهِ جَائِعٌ)[١].

لقد رصد العلماء طرق معيشة النمل، وأدهشهم عملها الجاد الدؤوب في تحصيل أرزاقِها، والتعاون وتوزيع الوظائف فيما بينها بكل دقة وجدية، وإن للنمل نظام دقيق في معاشه، فله قائد يوجهه، ويأمره، وله مساكن يعيش فيها، هذه المساكن مقسمة إلى غرف معيشة، ومستودعات لتخزين المؤن، ولها دهاليز معقدة، عليها حراسة مشددة على مدار الساعة، ويجتمع من تلك المساكن قرى كاملة كأنها مستعمرات تصل بينها طرق ومسالك، حيث تهتدي بها إلى أعلى الأرض، كما وجد العلماء أن النمل ينشر عند موته رائحة خاصة تنبه بقية الأفراد إلى ضرورة الإسراع بدفنه قبل انجذاب الحشرات الغريبة إليه، وعندما قام أحد العلماء بوضع نقطة من هذه المادة على جسم نملة حية سارع باقي النمل إليها، ودفنوها وهي حية[٢].

---

[١] المستدرك على الصحيحين للحاكم، **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم النيسابوري**، تحقيق: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، نشر: دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ٢٨١/٤، كتاب: البر والصلة، باب: أنا الرحمن وهي الرحم من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته، رقم الحديث: ٧٣٨٦.

[٢] ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، **محمد راتب النابلسي**، ٢٢١/٢- ٢٢٢-٢٢٣.

لقد أثبت الله ﷻ من خلال هذه الآية اللغة والكلام للنمل، وهذه معان في هذه الآيةِ نقلتها ملكة النمل إلى رعيتها، فهل كشف العلماء لغة النمل؟ نعم، لأن في لغة النمل هناك لغة صوتية، وهناك لغة إشارية – حركات – لغة مسموعة، ولغة مشاهدة، لغة الحركات، ولغة الأصوات، ولغة الشم، اللغة التي تجري بين النمل هي لغة كيميائية، النمل تستقبل بأعضاء حاسة الشم الموزعة على قرني الاستشعار هذه الإشارات الكيميائية، فإذَا أراد النمل الانتقال الجماعي إلى مكانِ الغذاء خرجت نملة تبحث عن الغذاء، وأفرزت مادة كيميائية على طريق سيرها، وهذه لغة من لغات النمل[١].

المطلب السابع

بيت العنكبوت

مثل ضربه الله تعالى لكل من اتخذ من دون الله وليا معتمدا، يلجأ إليه، ويحتمي بحماه، وهو لا يجلب له نفعا، ولا يدفع عنه ضرا، شبه فيه حاله هذه بحال العنكبوت اتخذت بيتا، لتحتمي به من الأهوال والأخطار، وتأوي إليه، معتمدة على خيوطها القوية، وهي لا تدري أن هذا البيت لا يقي حرا، ولا بردا، ولا يجير آويا، ولا يريح ثاويا، فهؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء، هم وأولياؤهم مثل، والعنكبوت وبيتها، الذي اتخذته من دون البيوت مثل آخر، والفائدة: التحذير من حمل النفس على التغريربالعمل، الذي يقوم على غير أساس. وقد ورد هذا المثل في مطلع النصف الثاني من سورة العنكبوت، **(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)**[٢]، وسيكون الكلام عنها وفق الآتي:

---

[١] ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، **محمد راتب النابلسي**، ٢/٢٢٤-٢٢٥.

[٢] سورة العنكبوت، آية/٤١.

أولا: تحليل الكلمات.

١) قوله تعالى: (العنكبوت)، هي: دويبة تنسج نسجا بين الهواء وعلى رأس البئر وغيرها، رقيقا متهلهلا، وفي لغة أهل اليمن العنكبوه والعنكباة، والجمع العناكيب، والعنكبوت أنثى، وقد يذكرها بعض العرب، والتأنيث في العنكبوت أكثر، والجمع عناكب وعناكيب وعنكبوتات، ويصغر عنيكبا وعنيكيبيا[١]، والعنكبوت: (صنف من الحشرات ذات بطون وأرجل وهي ثلاثة أصناف، منها صنف يسمى ليث العناكب وهو الذي يفترس الذباب، وكلها تتخذ لأنفسها نسيجا تنسجه من لعابها يكون خيوطا مشدودة بين طرفين من الشجر، أولجدران، وتتخذ في وسط تلك الخيوط جانبا أغلظ وأكثر اتصال خيوط تحتجب فيه وتفرخ فيه، وسمي بيتاً لشبهه بالخيمة في أنه منسوج ومشدود من أطرافه فهو كبيت الشعر)[٢].

٢) قوله تعالى: **(أوهن)**، الوهن: الضعف في العمل والعظم، يقول الله تعالى: **(حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ....)**[٣]، وقد وهن العظم يهن وهنا، وأوهنه يوهنه، ورجل واهن في الأمر والعمل، وموهون في العظم والبدن، والوهن ساعة تمضي من الليل، يقال: لقيته موهنا، أي: بعد وهن. ويقال: الوهن الرجل القصير الغليظ[٤].

ثانيا: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.

بعد أن أبان الله تعالى أنه أهلك من أشرك بعاجل العقاب، وسيعذبه بشديد العذاب، دون أن ينفعه معبوده في الدارين، **(فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ**

---

[١] ينظر: العين، ٣٠٩/٢، مادة (عنكب)، وتهذيب اللغة، ١٩٨/٣، مادة (عنكب)، وتاج العروس، ٤٤٥/٣، مادة (عنكب).

[٢] التحرير والتنوير، ٢٥٣/٢٠.

[٣] سورة لقمان، أية/١٤.

[٤] ينظر: العين، ٩٢/٤، مادة (وهن)، والصحاح، ٢٢١٥/٦، مادة (وهن).

يَظْلِمُونَ)[١]، شبّه حال هذا المشرك الذي اتخذ معبودا دون الله بحال العنكبوت التي اتخذت بيتا لا يحميها من الأذى، ولا يمنع عنها الحر أو البرد، ثم أكد ذلك فأوضح أن ما يدعونه ليس بشيء، فكيف يعبد وتترك عبادة الله القادر القاهر الحكيم المتقن؟ ثم لفت النظر إلى فائدة ضرب الأمثال وهي التقريب للأفهام وإدراك العقلاء لمغزاها فقال تعالى: **(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)**، ثم أكد الله تعالى كون تلك المعبودات ليست بشيء، فقال تعالى متوعدا عابديها: **(إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)**[٢]، أي: إن الله يعلم أن الذي يعبدونه من غيره من الأصنام والجن والإنس ليس بشيء، وهو القوي الغالب القادر على الانتقام ممن كفر به، وأشرك في عبادته معه غيره، الحكيم في صنعه وتدبيره خلقه، يعلم ما هم عليه من الأعمال، ويعلم ما يشركون به من الأنداد، وسيجزيهم وصفهم، إنه حكيم عليم[٣].

ثالثا: إعراب الآية.

قوله تعالى:**(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)**.

(مثل الذين)، مبتدأ مضاف إلى اسم الموصول (اتخذوا)، ماض وفاعله (من دون الله) متعلقان بالفعل ولفظ الجلالة مضاف إليه (أولياء)، مفعول به (كمثل)، خبر المبتدأ مثل والجملة الاسمية مستأنفة (العنكبوت)، مضاف إليه (اتخذت)، ماض فاعله مستتر (بيتا)، مفعول به والجملة حال (وإن أوهن البيوت)، إن واسمها المضاف إلى البيوت (لبيت)، اللام المزحلقة (بيت العنكبوت)، خبر إن المضاف إلى العنكبوت والجملة حال (لو)، حرف شرط غير جازم (كانوا)، كان واسمها

---

[١] سورة لقمان، آية/٤٠.

[٢] سورة لقمان، آية/٤٢.

[٣] ينظر: التفسير المنير، **للزحيلي**، ٢٠/٢٤٣-٢٤٤.

(يعلمون)، مضارع مرفوع والواو فاعله والجملة الفعلية خبر كانوا، وجملة كانوا.. ابتدائية لا محل لها[١].

رابعا: القضايا الأسلوبية والبلاغية.

قوله تعالى: **(مثل الذين اتخذوا....)**، الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله، بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة، وهو نسج العنكبوت،ألا ترى إلى مقطع التشبيه وهو قوله تعالى: **(وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت)**، فإن قلت: ما معنى قوله: **(لو كانوا يعلمون)**، وكل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت ؟ قلت: معناه لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن، ووجه آخر: وهو أنه إذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت، وقد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت، فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعملون،أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز، فكأنه قال: وإن أوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون[٢].

خامسا: المعنى العام للآية.

(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) يقول تعالى ذكره: مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها، ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتيالهم وقبح رواياتهم، وسوء اختيارهم لأنفسهم، **(كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا)**، أي: كمثل العنكبوت في ضعفها وقلة احتيالها لنفسها، اتخذت بيتا لنفسها فلم يغن عنها شيئا عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله وحل بهم سخطه أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئا، ولم يدفعوا عنهم ما أحل الله بهم من سخطه لعبادتهم إياهم، **(وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)**، أي: إن أضعف البيوت لبيت العنكبوت، لو كانوا يعلمون يقول تعالى ذكره لو كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء يعلمون أن أولياءهم الذين اتخذوهم من دون الله في قلة غنائهم

---

[١] ينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم، **محمود بن عبدالرحيم صافي**، ٢٠/٣٤٠-٣٤١، وإعراب القرآن، **قاسم حميدان دعاس**، ٢/٤٥٦.

[٢] ينظر: تفسير الكشاف، ٣/٤٥٨-٤٥٩، تفسير الرازي، ٢٥/٥٧-٥٨، والتحرير والتنوير، ٢/٢٥٢.

عنهم، كغناء بيت العنكبوت عنها، ولكنهم يجهلون ذلك، فيحسبون أنهم ينفعونهم ويقربونهم إلى الله زلفى[١].

سادسا: الإعجاز في خلق العنكبوت.

الأنثى هي التي تغزل البيت، وهي التي ترغب الذكر في الدخول إلى البيت، حيث تقوم أمامه بحركات مغرية، وتسمعه بعض الألحان الطنانة، فيأوي إلى بيتها، وبعد التلقيح تأكله إن لم يفر ويهرب، وتفترسه، وتأكل أولادها من بعد إن لم يفروا، ويأكل بعض أولادها بعضا، فضعف بيت العنكبوت إضافة إلى ضعفِ بنيته، هو ضعيف في علاقاته الداخلية، وقد يجمع الضعفان في ضعف واحد[٢].

المطلب الثامن

دابـــة الأرض

يذكر الله تعالى كيفية موت سليمان، عليه السلام، وكيف عمى الله موته على الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة، فإنه مكث متوكئا على عصاه – وهي منسأته – مدة طويلة نحوا من سنة، فلما أكلتها دابة الأرض، وهي الأرضة، ضعفت وسقط إلى الأرض، وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة، تبينت الجن والإنس أيضا أن الجن لا يعلمون الغيب، كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك، فقال تعالى: **(فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ)**[٣]، وسيكون الكلام عنها وفق الآتي:

---

[١] ينظر: تفسير الطبري، ٢٠/٣٨-٣٩، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، **العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي**، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٢] ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، **محمد راتب النابلسي**، ٢/٢٣٤.

[٣] سورة سبأ، آية/١٤.

١) قوله تعالى: **(قضينا)**، قضى يقضي قضاء وقضية، أي: حكم، وقضى إليه عهدا، أي: وصية، ومنها قوله تعالى: **(وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ)**[١]، وقضى الأمر، أي: أتم إهلاكهم، قيل: وقضى في اللغة على ضروب كلها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه، وقضى من القضاء أي: الحكم، ومنه قوله تعالى: **(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)**[٢]، وقضى نحبه، أي: مات[٣].

٢) قوله تعالى: **(منسأته)**، المنسأة: هي العصا الضخمة التي تكون مع الراعي، يقال: لها المنسأة وأخذت من نسأت البعير، أي: زجرته ليزداد سيره[٤].

ثانيا: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.

بعد بيان ما أنعم الله به على داود عليه السلام من النبوة والملك، ذكر تعالى ما أنعم به على سليمان من تسخير الريح له، حيث كانت تجري من الغداة إلى منتصف النهار مسيرة شهر، ومن منتصف النهار إلى الليل مسيرة شهر، وإذابة النحاس كإذابة الحديد لأبيه داود، وتسخير الجن لبناء القصور الشامخة وصناعة الجفان الكبيرة كالأحواض، والقدور الثابتة التي لا تتحرك لسعتها وكبرها، وهذه الأشياء الثلاثة تقابل الثلاثة في حق داود وهي تسخير الجبال الذي هو من جنس تسخير الريح لسليمان، وتسخير الطير الذي هو من جنس تسخير الجن لسليمان، وإلانة الحديد كإلانة النحاس لسليمان،ومع هذه النعم وعظمة سليمان (عليه السلام)، ذكر تعالى كيفية موته وتعميته على الجن المسخرين له في الأعمال الشاقة، فقال تعالى: **(فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ، مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ، فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ)**، أي: فلما حكمنا على سليمان بالموت وألزمناه إياه، مات، وهو قائم متكئ على عصاه، ولم

---

[١] سورة الإسراء، آية/٤.

[٢] سورة الإسراء، آية/٢٣.

[٣] ينظر: العين، ١٨٥/٥، مادة (قضى)، وتهذيب اللغة، ١٦٩/٩، مادة (قضى)، والصحاح، ٢٤٦٤/٦، مادة (قضى).

[٤] ينظر: تهذيب اللغة، ٥٨/١٣، مادة (نسأ).

تعلم الجن بموته، وبقوا يعملون خوفا منه، ولم يدلهم على موته إلا الأرضة التي أكلت عصاه من الداخل، فلما سقط بعد ما وقعت عصاه، ظهر للجن أنهملا يعلمون الغيب كما زعموا، ولو صح ما يزعمونه من أنهم يعلمون الغيب، لعلموا بموته وهو أمامهم، ولم يلبثوا بعد موته مدة طويلة في العمل الشاق الذي سخرهم فيه، ظانين أنه حي، أما المدة التي مكث فيها سليمان متكئا على عصاه فلم يرد خبر صحيح في شأنها، ونترك الأمر في تقديرها لله عز وجل[١].

ثالثا: إعراب الآية.

قوله تعالى: **(فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ)**، (فلما)، الفاء استئنافية ولما ظرفية،(قضينا عليه الموت)، ماض وفاعله ومفعوله والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة مستأنفة نافية،(ما دلهم)، ماض ومفعوله والجملة لا محل لها لأنها جواب لما،(على موته)، متعلقان بالفعل (إلا)، أداة حصر،(دابة)، فاعل دلهم (الأرض)، مضاف إليه (تأكل)، مضارع فاعله مستتر والجملة في محل نصب على الحال،(منسأته)، مفعول به والمنسأة العصا التي يساق بها (فلما)، عاطفة ولما ظرف زمان أداة شرط غير جازمة (خر)، ماض فاعله مستتر والجملة مضاف إليه (تبينت الجن)، ماض وفاعله والتاء للتأنيث والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (أن)، مخففة من أن واسمها محذوف (لو)،حرف شرط غير جازم (كانوا)، كان واسمها والجملة خبر أن (يعلمون)، الجملة خبر كان (الغيب)،مفعول به (ما)، نافية (لبثوا)، ماض وفاعله والجملة لا محل لها لأنها جواب لو غير الجازمة (في العذاب)، متعلقان بلبثوا (المهين)، صفة[٢].

---

[١] ينظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ١٥٣/٢٢-١٥٥.

[٢] ينظر: إعراب القرآن الكريم، النحاس، ٢٣١/٣، والجدول في إعراب القرآن، ٢٠٩/٢٢، وإعراب القرآن الكريم، قاسم حميدان دعاس، ٦٥/٣.

رابعا: القضايا الأسلوبية والبلاغية.

(**فلما قضينا عليه الموت....**)، ولا شك أن ذلك لم يطل وقته لأن مثله في عظمة ملكه لا بد أن يفتقده أتباعه، فجملة ما دلهم على موته، والضمير في (دلهم) يعود إلى معلوم من المقام، أي: أهل بلاطه، والدلالة: الإشعار بأمر خفي[١].

خامسا: القراءات وتوجيهها.

١) قوله تعالى: (**منسأته**)، قرأ نافع وأبو عمرو (منساته)، غير مهموز، وقرأ الباقون (منسأته)، مهموزه مفتوحة الهمزة[٢].

٢) قوله تعالى: (**تبينت الجن**)، قرأ رويس بضم التاء والباء وكسر الياء، والباقون بفتحهن[٣].

سادسا: المعنى العام للآية.

(**فلما قضينا عليه الموت**)، أي: فلما أمضينا قضاءنا على سليمان بالموت فمات (**ما دلهم على موته**)، أي: لم يدل الجن على موت سليمان (**إلا دابة الأرض**)، وهي الأرضة وقعت في عصاه التي كان متكئًا عليها فأكلتها، فذلك قول الله عز وجل (**تأكل منسأته**)، أي: أكلت عصاه حتى خر، (**فلما خر تبينت الجن**)، أي: فلما خر سليمان ساقطا بانكسار منسأته تبينت الجن (**أن لو كانوا يعلمون الغيب**)، أي: الذي يدعون علمه (**ما لبثوا في العذاب المهين**)، أي: المذل حولا كاملا بعد موت سليمان، وهم يحسبون أن سليمان حي،فلما خر تبين وانكشف، أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين[٤].

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير، ١٦٤/٢٢.

[٢] ينظر: السبعة في القراءات، **ابن مجاهد**، ٥٢٧/١، والتيسير في القراءات السبع، **عثمان بن سعيد الداني**، ١٨٠/١.

[٣] ينظر: تحبير التيسير في القراءات العشر، **شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف، المعروف بابن الجزري**، تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، نشر: دار الفرقان، الأردن، عمان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٥١٦/١.

[٤] ينظر: تفسير الطبري، ٣٦٩/٢٠-٣٧٠-٣٧١، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، **أبو بكر الجزائري**، ٣١٠/٤.

المطلب التاسع

الفراش المبثوث

هذا الإنسان المكرم، المكلف، المخلوق الأول، الذي سخرت له السماوات والأرض، تسخير تعريف وتكريم، هذا الإنسان يوم القيامة لشدة الهول يصبح كالفراش المبثوث. فراش، مخلوق صغير، لا شأن له عند الإنسان، إذا أوقد الإنسان نارا في ليلة ظلماء يتهافت الفراش على النار في اضطراب لا يوصف، يتحرك حركة عشوائية، يلقي بنفسه على النار، هذه الصورة التي نعرفها في الدنيا، مخلوق ضعيف لا قيمة له، يتحرك حركة عشوائية، مضطربة، ربما يتحرك نحو النار، حال الناس يوم القيامة، الذين غفلوا عن ربهم ولم يتعرفوا إليه في الدنيا، وغفلوا عن منهج ربهم، وعملوا للدنيا، واستغنوا عن الآخرة حالة الناس يوم القيامة، هؤلاء البشر المكرمون في الدنيا، الذين هم من أوائل المخلوقات، تغدو حالهم يوم القيامة كالفراش المبثوث، فقال تبارك وتعالى: **(يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ)**[١]، وسيكون الكلام عنها وفق الآتي:

أولا: تحليل الكلمات.

١) قوله تعالى: (كالفراش)، الفراش في اللغة: فرش الشيء يفرشه فرشا، وهو بسط الفراش[٢]، والفراش بفتح الفاء: ما يبس بعد الماء من الطين على وجه الأرض، وقيل الفراشة: كل عظم رقيق، وفراش الرأس: عظام رقاق تلي القحف[٣]، والفرش: الكذب، وقد فرش إذا كذب، ويقال: كم يفرش، أي: كم يكذب، والفراشة بالفتح: هي التي تطير وتهافت في السراج لإحراق نفسها، ومنه المثل: (أطيش من فراشة)، وقيل: ما تراه كصغار البق يتهافت في النار[٤].

---

[١] سورة القارعة، آية/٤.

[٢] ينظر: تاج العروس، ٣٠٢/١٧، مادة (فرش).

[٣] ينظر: الصحاح، ١٠١٥/٣، مادة (فرش).

[٤] ينظر: تاج العروس، ٣٠٢/١٧، مادة (فرش).

٢) قوله تعالى: (المبثوث)، بث الشيء والخبر يبثه بثا وأبثه، أي: فرقه ونشره، وانبث الجراد في الأرض أي: انتشر، قال تعالى: **(وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً)**[١]، أي: نشر وكثر، وقوله تعالى: **(فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا)**[٢]، أي: غبارا منتشرا، والمبثوث، أي: المنشور[٣].

ثانيا: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.

(الْقَارِعَةُ): من أسماء القيامة، لأنها تقرع القلوب بالفزع، وأي شيء هي، وما أعلمك ما شأن القارعة؟ وقوله تعالى: **(مَا الْقَارِعَةُ)**، لتعظيم شأنها وتفخيمه، وقوله تعالى: **(وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ)**[٤]، تأكيد لشدة هولها، وتعظيم أمرها، وتهويل شأنها، ثم فسر ذلك وأبان زمانها وأماراتها، فقال تعالى:

١) **(يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ)**، أي: يوم يخرج الناس من القبور، يسيرون على غير هدى في كل اتجاه، شأنهم في ذلك، كالحشرة الطائرة المعروفة المنتشرة المتفرقة، أو كجميع الحشرات الطائرة، كالبعوض والجراد، فهم في انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومجيئهم بسبب حيرتهم مما هم فيه، كأنهم فراش مبثوث، أي متفرق منتشر، كما قال تعالى: **(خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ)**[٥]، ثم أردف ذلك بقوله تعالى:

٢) **(وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ)**[٦]، أي: وتصير الجبال كالصوف ذي الألوان المختلفة، المندوف الذي نقش بالندف لأنها تتفتت وتتطاير، كما في قوله تعالى: **(وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ)**[٧]، وقوله سبحانه: **(يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا)**[٨].

---

[١] سورة النساء، أية/١.

[٢] سورة الواقعة، أية/٦.

[٣] ينظر: لسان العرب، ١١٤/٢، مادة (بثث).

[٤] سورة القارعة، آية/١-٣.

[٥] سورة القمر، آية/ ٧.

[٦] سورة القارعة، آية/ ٥.

[٧] سورة التكوير، آية/٣.

[٨] سورة المزمل، آية/١٤.

وفي ذكر هاتين الأمارتين تخويف للناس وتحذير شديد، ثم ذكر الجزاء على الأعمال وأحوال الناس وتفرقهم فريقين إجمالا، فقال تعالى: **(فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ)**[١]، أي: أما من ثقلت موازينه بأن رجحت حسناته أو أعماله الصالحة على سيئاته، فهو في عيشة مرضية[٢].

ثالثا: إعراب الآية.

قوله تعالى:**(يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ)**.

(يوم)، ظرف زمان (يكون الناس)، مضارع ناقص واسمه (كالفراش)، خبر يكون (المبثوث)، صفة الفراش، والجملة في محل جر بالإضافة[٣].

رابعا: القضايا الأسلوبية والبلاغية.

١) جملة: (يوم يكون الناس)، مع متعلقها المحذوف بيان للإبهامين اللذين في قوله تعالى: **(ما القارعة)**، وقوله تعالى: **(وما أدراك ما القارعة)**، وليس قوله تعالى: **(يوم يكون الناس)**، خبر عن **(القارعة)**، إذ ليس سياق الكلام لتعيين يوم وقوع القارعة.

والمقصود بهذا التوقيت زيادة التهويل بما أضيف إليه يوم من الجملتين المفيدتين أحوالاً هائلة، إلا أن شأن التوقيت أن يكون بزمان معلوم، وإذ قد كان هذا الحال الموقت بزمانه غير معلوم مداه،كان التوقيت له إطماعا في تعيين وقت حصوله إذ كانوا يسألون متى هذا الوعد،ثم توقيته بما هو مجهول لهم إبهاما آخر للتهويل والتحذير من مفاجأته، وأبرز في صورة التوقيت للتشويق إلى البحث عن تقديره، فإذا باء الباحث بالعجز عن أخذ بحيطة الاستعداد لحلوله بما ينجيه من مصائبه التي قرعت به الأسماع في آي كثيرة[٤].

---

[١] سورة القارعة، آية/٦-٧.

[٢] ينظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ٣٧٧/٣٠.

[٣] ينظر: إعراب القران، **النحاس**، ١٧٥/٥، والجدول في إعراب القران، ٣٩٢/٣٠، إعراب القران الكريم، **قاسم حميدان دعاس**، ٤٦٥/٣.

[٤] ينظر: التحرير والتنوير، ٥١٢/٣٠.

فحصل في هذه الآية تهويل شديد بثمانية طرق: وهي الابتداء باسم القارعة، المؤذن بأمر عظيم، والاستفهام المستعمل في التهويل، والإظهار في مقام الإضمار أول مرة، والاستفهام عما ينبئ بكنه القارعة، وتوجيه الخطاب إلى غير معين، والإظهار في مقام الإضمار ثاني مرة، والتوقيت بزمان مجهول حصوله، وتعريف ذلك الوقت بأحوال مهولة[١].

٢) شبه الله تعالى وقت البعث بالفراش المبثوث، وفي آية أخرى بالجراد المنتشر، أما وجه التشبيه بالفراش، فلأن الفراش إذا ثار لم يتجه لجهة واحدة، بل كل واحدة منها تذهب إلى غير جهة الأخرى، ويدل هذا على أنهم إذا بعثوا فزعوا، واختلفوا في المقاصد على جهات مختلفة غير معلومة، وبالجملة فالله سبحانه وتعالى شبه الناس في وقت البعث بالجراد المنتشر وبالفراش المبثوث لأنهم بعثوا يموج بعضهم في بعض، كالجراد والفراش ويؤكد هذا كله قول الله تعالى: **(يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا)**[٢]، فإن قيل: الجراد بالنسبة إلى الفراش كبار، فكيف شبه الشيء الواحد بالصغير والكبير معا؟ قلنا: شبه الواحد بالصغير والكبير لكن في وصفين: أما التشبيه بالفراش فبذهاب كل واحدة إلى غير جهة الأخرى، وأما الجراد فبالكثرة والتتابع، ويحتمل أن يقال: إنها تكون كبارا أولا كالجراد ثم تصير كالفراش بسبب احتراقهم بحر الشمس، وذكروا في التشبيه بالفراش وجوها أخرى:

أحدها: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: **(الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الْأَجْرِ، وَلَا خَيْرَ فِي سَائِرِ النَّاسِ)**[٣]، فجعلهم الله تعالى في الأخرى كذلك جزاء وفاقا.

وثانيها: أنه تبارك وتعالى إنما ادخل حرف التشبيه فقال كالفراش لأنهم يكونون في ذلك اليوم أذل من الفراش، لأن الفراش لا يعذب وهم يعذبون، ونظيره قول الله تبارك وتعالى: **(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ)**[٤].

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير، ٥١٣/٣٠.

[٢] سورة النبأ، آية/ ١٨.

[٣] سنن ابن ماجة، ٨٣/١، كتاب: الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث: ٢٢٨.

[٤] سورة الأنعام، آية/٤٤، ينظر: تفسير الرازي، ٢٦٦/٣٢-٢٧٦.

خامسا: المعنى العام للآية.

(يوم يكون الناس كالفراش المبثوث)، أي: يوم يكون الناس في انتشارهم وكثرتهم واضطرابهم وإقبالهم نحو الداعي لهم نحو أرض المحشر كالحشرات الصغيرة المتهافتة نحو النار، فأنت ترى أنه سبحانه وتعالى قد شبه الناس في هذا الوقت العصيب، بالفراش المتفرق المنتشر في كل اتجاه، وذلك لأن الناس في هذا اليوم يكونون في فزع، يجعل كل واحد منهم مشغولا بنفسه، وفي حالة شديدة من الخوف والاضطراب[١].

[١] ينظر: روح المعاني، للألوسي، ٢٢١/٣٠، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، **محمد سيد طنطاوي**، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ونشكره على توفيقه وإعانته على إتمام هذا البحث، ونسأله تعالى التوفيق والسداد، وبعد....

فقد تم هذا البحث بعونه تعالى، وهذه أهم النتائج التي توصلت إليها استخلصها بما يأتي:

١) اتضح لنا أن مصطلح الحشرات يطلق على: صغار دواب الأرض، وقد ذكر العلماء أنواعا من هذه الحشرات.

٢) تبين لنا أن هناك ألفاظا مرادفة لمصطلح الحشرات، منها: هوام، خشاش، حنش.

٣) ذكرت الحشرات ثمان مرات في القرآن الكريم، وهي: البعوضة، والجراد، والنحل، والذباب، والنمل، والعنكبوت، ودابة الأرض، والفراش، وذكرت أيضا في السنة النبوية الشريفة، في كثير من الأحاديث.

٤) للدلالة على أهمية الموضوع، فقد أطلق الله ﷻ أسماء بعض أصناف الحشرات على بعض سور القرآن الكريم، كالنحل، والنمل، والعنكبوت.

٥) تنقسم الحشرات، من حيث البيئة المعيشية إلى ثلاثة أنواع: حشرات برية، وحشرات مائية، وحشرات برمائية.

٦) ترتب على هذا التقسيم آثار واضحة في الأحكام الفقهية عند العلماء، خاصة في أحكام المناسك، وباب الأطعمة، والصيد، والذبائح، وكثير من كتب الفقه تناولت هذا التقسيم وبينت الأحكام الشرعية المستنبطة من الأدلة الشرعية.

٧) اهتم العلماء على مختلف تخصصاتهم بموضوع الحشرات وذكرها في القرآن الكريم اهتماما كبيرا، وبينوا أن الآيات التي تحدثت عنها أبرزت الكثير من الأمور المهمة.

٨) تبين أن الحشرات تمثل ما نسبته ٧٥% من الحيوانات، وقد عرف منها حتى اليوم أكثر من ١٢٥ مليون نوع.

٩) أظهرت الآيات القرآنية المباركة الإعجاز الرباني في خلق هذه الأصناف من المخلوقات التي أبهرت العقول، وجعلتها حائرة أمام هذه المخلوقات، التي يشهد وجودها على عظمة الخالق ﷻ.

١٠) على الإنسان أن يعلم أن كل ما خلقه الله ﷻ فيه مصلحة له، حتى وإن كان الظاهر خلاف ذلك.

وختاما أسال الله جل في علاه أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل اللهم على سيدنا وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الأحرف السبعة للقرآن، عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق: عبد المهيمن طحان، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢. أحكام القرآن، أبي بكر أحمد بن علي الجصاص، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٢هـ.

٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المعروف بـ (تفسير أبي السعود)، محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود العمادي، (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤. أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٥. إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، (ت١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالح، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٢م.

٦. إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس النحاس المرادي النحوي، (ت ٣٣٨هـ)، علق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٧. إعراب القرآن، أحمد عبيد الدعاس – أحمد محمد حميدان – إسماعيل محمود القاسم، دار المنير ودار الفارابي، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ.

٨. إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض بن موسى، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٩هـ.

٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بـ(تفسير البيضاوي)، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي المعروف بالبيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١٠. أيسر الرواة لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنور، ط٥، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١١. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين بن بكر بن مسعود الكاساني، دار إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤٢١هـ.

١٢. تاج العروس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي، (ت١٢٠٥هـ)، مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٣. تحبير التيسير في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير، ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، نشر: دار الفرقان، الأردن، عمان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

١٤. تحرير ألفاظ التنبيه، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد الغني الدقر، نشر: دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٥. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١٦. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، المعروف بابن جزي الكلبي الغرناطي، (ت٧٤١هـ)، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٣١٦هـ.

١٧. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المعروف بابن كثير، (ت٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٨. تفسير الشعراوي،. الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، نشر: مطابع أخبار اليوم، القاهرة.

١٩. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

٢٠. تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.

٢١. التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، نشر: دار الجيل الجديد، بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ.

٢٢. التفسير الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٣. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، نشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

٢٤. التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، ط٢، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٥. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي، دار الكتاب الإسلامي.

٢٦. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، عبد الله بن عباس ﷺ، جمعه مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٧. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري أبو منصور الهروي (ت ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٢٨. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المعروف بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي (ت ١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

٢٩. التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق: اوتو تريزل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣٠. الجامع لأحكام القرآن، المعروف بـ(تفسير القرطبي) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٤٦م.

٣١. جامع البيان في تأويل آي القرآن، المعروف بـ(تفسير الطبري) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ابن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٢. جامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ المعروف بـ(صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٣. الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي، (ت ١٣٧٦هـ) دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤، ١٤١٨هـ.

٣٤. الجراثيم، نسب لأبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد جاسم الحميدي، وزارة الثقافة، دمشق.

٣٥. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، (ت ٣٢١هـ) تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٣٦. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، شمس الدين محمد بن عرفة، دار إحياء الكتب العربية.

٣٧. حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة ابن زنجلة، (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.

٣٨. الحشرات النافعة في تراثنا الحضاري، عزيز العلي، من بحوث الندوة القطرية الخامسة لتأريخ العلوم عند العرب، بغداد، ١٩٨٩م.

٣٩. حقوق الحيوان والرفق به في الشريعة الإسلامية، د. أحمد عبيد الكبيسي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السنة ٨، العدد ٤، ربيع الأول، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٤٠. الحيوان، عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ، (ت ٢٥٥هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٤١. رد المحتار، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن عابدين، (ت ١٢٥٢هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٤٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، (ت ١٢٧٠هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٣. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي، (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٤. السبعة في القراءات، أحمد بن موسى المعروف بابن مجاهد، (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ.

٤٥. سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المعروف بابن ماجة (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار الفكر، بيروت.

٤٦. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٤٧. شرح مختصر خليل، محمد بن عبد الله الخرشي، وبهامشه حاشية الصعيدي العدوي، دار صادر، بيروت، لبنان.

٤٨. الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، المعروف بابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) نشر: دارالهلال، بيروت.

٤٩. طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، نجم الدين عمر النسفي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ.

٥٠. علم الحشرات العام، د. محمد شاكر حماد، دار الإصلاح – السعودية، ١٤٠٤هـ.

٥١. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي – د, إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٥٢. غريب القرآن، عبد الله بن مسلم، المعروف بابن قتيبة، (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: سعيد اللحام.

٥٣. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (ت ٨١٧هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

٥٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر، المعروف بالزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٥. الكليات، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء الحنفي، (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٦. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الأفريقي، (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٥٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٥٨. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن سيده المرسى، (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٥٩. المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي المعروف بابن حزم الظاهري، (ت ٤٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت.

٦٠. المستدرك على الصحيحين للحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه المعروف بـ(الحاكم النيسابوري) (ت: ٤٠٥هـ) تحقيق: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٦١. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل رشيد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التريكي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٦٢. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي المعروف بالفراء، (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي = محمد علي النجار – عبد الفتاح إسماعيل، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ط١.

٦٣. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحق المعروف بالزجاج، (ت ٣١١هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٦٤. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية – القاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة.

٦٥. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس – حامد صادق، دار النفائس، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٦٦. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت.

٦٧. المغني، موفق الدين أبي محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن قدامة، نشر: دار هجر، ط٢، ١٤١٣هـ، تحقيق: د عبد الله التريكي – عبدالفتاح الحلو.

٦٨. مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بالحطاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٦٩. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، دار المكتبي، دمشق، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٧٠. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، الرياض.

٧١. الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال، دار الشعب.